الدنيا ظل زائل

عبد الملك القاسم

مصدر هذه المادة:



الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار القاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الـــذي جعل الـــدنيا دار ممر والآخـــرة دار مقر والصـــلاة والســـلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

وبعد:

فإن من رأى تهافت النـاس على الـدنيا والفـــرح بها والجـــري وراء حطامها ليأخـــذه العجب.. فهل هـــذا منتهى الآمـــال ومبتغى الآجال؟! كأنهم ما خلقوا إلا لتحصيل المادة وجمعها واللهث ورائها. ونسوا يومًا يرجعون فيه إلى الله.

وهـــذا هو الجـــزء الســـابع من سلســـلة **«أين نحن من هــؤلاء؟!»** تحت عنـــوان **«الـــدنيا ظل زائل»** جمعت فيه نظر من كان قبلنا إلى هذه الحياة الـدنيا وهم الـذين أيقنـــوا وعلمـــوا أنها دار ممر ومحطة توقف ثم بعدها الرحيل الأكيد والحساب والجزاء.

والكتـــاب فيه تـــذكير بالمعـــاد والمصـــير وتزويد للسائر على الطريق.

جعل الله أعمالنا خالصة لوجهه الكريم.

عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن القاسم

مدخل

قال الله -جل وعلا- في وصف الـدنيا: ﴿**إِنَّمَا هَـذِهِ الْحَيَـاةُ الـدُّنْيَا مَتَـاعٌ وَإِنَّ الْآَخِـرَةَ هِيَ دَارُ الْقَـرَارِ**﴾ [غـافر: 39] وحـذر -سـبحانه- من فتنة الأمـوال والأولاد، فقـال -تعـالى-: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْـوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَـةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْـدَهُ أَجْـرٌ عَظِيمٌ**﴾ [الأنفـال: 28] ونهى جل وعلا عن النظر إلى ما في أيدي النـاس ﴿**وَلَا تَمُـدَّنَّ عَيْنَيْـكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِـهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْـرَةَ الْحَيَـاةِ الـدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيـهِ**﴾ [طه: 131].

والآيـات الـواردة في ذم الـدنيا وأمثلتها كثـيرة، وأكـثر القـرآن مشـتمل على ذم الـدنيا، وصـرف الخلق عنها ودعـوتهم إلى الآخـرة. فلا حاجة إلى الاستشـهاد بآيـات القرآن لظهورها[1].

وها هو رسول الله ﷺ يرتسم على لسانه نظرته إلى الدنيا بقوله: «**مـالي وللـدنيا!**

---

1 (?) الإحياء باختصار: 3/216.

إنما مثلي ومثل الدنيا: كمثل راكب قال في ظل شجرة، ثم راح وتركها» رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه الألباني ولكثرة مشاغل الدنيا وأعمال الحياة. وحث -عليه الصلاة والسلام- على الاستعداد ليوم الرحيل والتزود للدار الآخرة، فقال: «**كن في الدنيا: كأنك غريب أو عابر سبيل**» رواه البخاري.

ومن رأى تهافت الناس على الدنيا وانكبابهم على جمع حطامها من حلال وحرام، تذكر قوله ﷺ: «**إذا رأيت الله -عز وجل- يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج**» رواه أحمد والبيهقي.

ومن تعلق بالدنيا الزائفة، وجرى في اللهث وراء المادة، فإن ذلك ربما يصرفه عن الطاعة، والعبادة، وعن تأدية الواجبات في وقتها، وعلى أتم وجه وأكمله.

قال ﷺ: «**اقتربت الساعة، ولا يزداد**

النـــاس على الـــدنيا إلا حرصًـــا، ولا يـــــزدادون من الله إلا بعـــــدًا» رواه الحاكم.

أما جمع الـدنيا بحلال وصـرفه في حلال فهذه: عبادة، يتقرب بها إلى الله -جل وعلا- أما إذا كـــانت من حـــرام، أو وضـــعت في حرام، فبئست الزاد إلى النار.

قال يحيى بن معاذ: لست آمركم بــترك الـدنيا، آمـركم بـترك الـذنوب، تـرك الـدنيا فضـيلة، وتـرك الـذنوب فريضـة، وأنتم إلى إقامة الفريضة أحـــوج منكم إلى الحســنات والفضائل.

والـــدنيا أخي الكـــريم: أعيـــان موجـــودة للإنســان، فيها حظ وهي الأرض وما عليهــا، فــــإن الأرض مســـــكن الآدمي، وما عليها ملبس ومطعم ومشـــــرب ومنكم وكل ذلك علف لراحلة بدنه الســـــــائر إلى الله -عز وجل- فإنه لا يبقى إلا بهذه المصـالح، كما لا تبقى الناقة في طريق الحـــــــــاج إلا بما يصــلحها، فمن تنــاول منها ما يصــلحه على

الوجه المـأمور يمـدح، ومن أخذ منها فـوق الحاجة يكتنفه الشـره، وقع في الـذم، فإنه ليس للشـره في تنـاول الـدنيا وجـه، لأنه يخـــرج عن النفع إلى الأذى، ويشـــغل عن طلب الأخـرى، فيفـوت المقصـود، ويصـير بمثابة من أقبل يعلف الناقـــة، ويـــرد لها الماء، ويغير عليها ألوان الثيـاب، وينسى أن الرفقة قد ســـارت، فإنه يبقى في البادية فريسة للسباع هو وناقته.

ولا وجه أيضًـــا للتقصـــير في تنـــاول الحاجة، لأن الناقة لا تقـوى على السـير، إلا بتنـاول ما يصـلحها، فـالطريق السـليم هي: الوسطى، وهي أن يؤخذ من الـدنيا قـدر ما يحتـاج إليه من الـزاد للسـلوك، وإن كـان مشـتهى، فـإن إعطـاء النفس ما تشـتهيه عون لها وقضاء لحقها[1].

قال عـون بن عبد اللـه: الـدنيا والآخـرة في القلب: ككفـــتي المـــيزان، ما تـــرجح

---

1 (?) مختصر منهاج القاصدين: 211.

أحدهما تخف الأخرى[1].

ومن يحمد الدنيا فسوف لعمري
إذا أدبرت كانت كثيرًا همومها[2]

وقيل للحسن: يا أبا سعيد: من أشد الناس صراخًا يوم القيامة؟ فقال: رجل رزق نعمة؛ فاستعان بها على معصية الله[3].

ولا شك أن من استعان على الدنيا بالطاعة، فإنه في خير عظيم، يتصدق، وينفق، ويساهم في نشر العلم وبناء المساجد. وهذه نعمة من الله له، أن وجهه لاستعمال هذا المال فيما ينفعه في آخرته.

والإنسان: محب للمال، جامع للذهب والفضة، يجري من مولده حتى موته خلف الدرهم والدينار، ولكن ماذا يبلغ.. وإلى أين ينتهي..؟!

يسعى الفتى والنفس واحدة
فالمرء ما عاش لا تنتهي العين

[1] (?) تزكية النفوس: 129.
[2] (?) بستان العارفين: 17.
[3] (?) الحسن البصري: 47.

والدنيا مقبلة ومدبرة.. فمن غـنى إلى فقـر، ومن فرح إلى ترح، لا تبقى على حال، ولا تستمر على منوال.. فهذه سنة الله في خلقه.. والنـاس يجـرون خلف سـراب.. سـنوات معـدودة وأيـام معلومة.. ثم تنقضي.

وما هي إلا جيفة **عليها كلاب همهن**
فإن تجتنبها كنت **نازعتك كلابها**[1]

قال عمر بن الخطاب: الزهد في الدنيا: راحة القلب والبدن[2].

وقال الحسن: أدركت أقوامًا لا يفرحون بشـيء من الـدنيا أتـوه، ولا يأسـفون على شيء منها فاتهم[3].

وجمـاع ذلك قـول الإمـام أحمـد: الزهد في الدنيا: قصر الأمل[4].

والمـــؤمن لا ينبغي له أن يتخذ الـــدنيا وطنًا ومسكنًا فيطمئن فيها، ولكن ينبغي أن

---

1 (?) شذرات الذهب: 20/10.
2 (?) تاريخ عمر: 26.
3 (?) الزهد لأحمد: 230.
4 (?) مدارج السالكين: 2/11.

يكون فيها كأنه فيها على جناح سفر[1].

وهذا هو الفهم الصحيح.. والعلم النافع..

ذكر ذلك يحيى بن معاذ فقال: كيف لا أحب دنيـا، قـدر لي فيها قـوت، أكتسب به حيـاة، أدرك بها طاعة.. أنال بها الجنة[2].

هذا هو من يغبط في هذه الـدنيا، لا أصـحاب الــدور والقصــور.. المفرطــون في العبــادات، والمضيعون للطاعات.

إذا ما كساك الدهر ... ولم تخل من قوت

فلا تغبطن ... يسلب[3]

وقال عبد الله بن عمـر: إن الـدنيا: جنة الكافر وسجن المؤمن.. وإنما مثل المـؤمن حين تخــرج نفســه، كمثل رجل كــان في سجن فأخرج منه، فجعل يتقلب في الأرض ويتفسح فيها[4].

أيها النـاس! إن سـهام المـوت صـوبت إليكم، فانظروهـا، وحبالة الأمل قد نصــبت

---

1 (?) جامع العلوم: 3780.

2 (?) تزكية النفوس: 128.

3 (?) الزهد للبيهقي: 116.

4 (?) شرح الصدور: 13.

بين أيــديكم، فاحــذروها، وفتن الــدنيا قد حــاطت بكم من كل جــانب، فاتقوهــا، ولا تغــتروا بما أنتم فيه من حسن الحــال، فإنه إلى زوال، ومقيمة إلى ارتحــال، وممتــدة إلى تقلص واضمحلال[1].

تمر بنا الأيام نساق إلى الآجال
فلا عائد ذاك المشيب المكدر[2]

فمن تكفر في عــواقب الــدنيا أخذ الحــذر، ومن أيقن بطــول الطريق تــأهب للسفر[3].

وقد لهونا في هــذه الــدنيا.. وتتــابعت ذنوب خلف ذنوب.

أخي الحـــبيب... أين نحن من هؤلاء؟!

عن أنس بن عياض قال: رأيت صـفوان بن سليم، ولو قيل له: غـدًا القيامة ما كـان عنده مزيد على ما هو عليه من العبادة[4].

---

1 (?) العاقبة: 69.
2 (?) شذرات الذهب: 6/231.
3 (?) صيد الخاطر: 25.
4 (?) السير: 5/366.

عجبت لحالنا.. الدنيا مولية عنا، والآخرة مقبلة علينا، ونشتغل بالمدبرة، ونعرض عن المقبلـــة.. كأننا لن نصل إليهـــا.. ولن نحط رحالنا فيها..

وقد قـــــــــال عمر بن عبد العزيز في خطبته: إن الدنيا ليست بدار قــراركم، كتب الله عليها الفناء، وكتب الله على أهلها منها الظعن، فكم من عـــــــامر موثق عن قليل يخـــــرب، وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن، فأحسنوا -رحمكم اللــه- منها الرحلة بأحسن ما بحضــرتكم من النقلــة، وتــزودوا فإن خـير الـزاد التقـوى، وإذا لم تكن الـدنيا للؤمن دار إقامة ولا وطنًـا، فينبغي للمـؤمن أن يكون حاله فيها على أحد حــالين، إما أن يكون كأنه غــريب مقيم في بلد غربــة، همه الــتزود للرجــوع إلى وطنــه، أو يكــون كأنه مسافر غير مقيم ألبتــة، بل هو ليله ونهــاره يسير إلى بلد الإقامة[1].

فما فرحت نفسي ولكن إلى الملك

[1] (?) جامع العلوم: 379.

ومالي شيء غير أني **وخبير**[1]

والنــاس تتصــارع وتتكــالب على هــذه الــدنيا.. يفقد البعض دينــه، وينسى الكثــير أبنــــاءه.. انتشــــرت الأحقــــاد.. وزرعت الضغائن.. وعمت البغضاء.. لنرى كيف نظر الفضيل إلى هذه الدنيا بقولـه: لا يسـلم لك قلبك حتى لا تبالي من أكل الدينا.

أخي الحبيب:

تبلغ من الدنيا **فإنك عنها راحل**
وغض عن الدنيا **جفونك وأكحلها**
وجاهد على **فإن جهاد النفس**
وما هي إلا دار **لنفاد**[2]

قــــال بلال بن ســــعد ليــــذكرنا بمآلنا ومصــــيرنا: يا أهل التقى، إنكم لم تخلقــــوا للفنــاء، وإنما تنقلــون من دار إلى دار، كما نقلتم من الأصــــلاب إلى الأرحــــام، ومن الأرحام إلى الـدنيا، ومن الـدنيا إلى القبـور، ومن القبــور إلى الموقــف، ومن الموقف

---

1 (?) شذرات الذهب: 2/119.
2 (?) المنتخب: 401.

إلى الخلود في جنة أو نار[1].

ولـذلك قـال الحسـن: إيـاكم وما شـغل من الـدنيا، فـإن الـدنيا كثـيرة الاشـتغال، لا يفتح رجل على نفسه باب شـغل، إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب[2].

وقــال ابن السـماك: من جرعته الــدنيا حلاوتها لميله إليهـا، جرعته الآخـرة مرارتها لتجافيه عنها[3].

أيا نفس ويحك فماذا التصابي
تولى شبابي كأن وجاء مشيبي كأن
كأني بنفسي بها قد نزل[4]

أخي الحبيب:

أســاس كل خــير أن تعلم: أن ما شــاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فتتيقن حينئذ أن الحسـنات من نعمــه، فتشـكره عليهــا، وتتضـــــرع إليه أن لا يقطعها عنـــــك، وأن السـيئات من خذلانه وعقوبتــه، فتبتهل إليه

1 (?) السير: 5/91.
2 (?) الزهد، لابن المبارك: 189.
3 (?) شذرات الذهب: 1/304.
4 (?) وفيات الأعيان: 3/310.

أن يحــول بينك وبينهــا، ولا يكلك في فعل الحسنات وترك السيئات إلى نفسك[1].

عنـدما سـئل إبـراهيم بن أدهم: كيف أنت؟ قال:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

فطوبى لعبد آثر الله ربه وجاد بدنياه لما يتوقع

إن من علامــات حب الــدنيا: حب أهل الدنيا، والتملق لهم، ومحاباتهم، وعدم إنكار منكــرهم.. وقد أكد ذلك ســفيان الثــوري بقولــه: إني لأعــرف حب الرجل للــدنيا، بتسليمه على أهل الدنيا[2].

وانظر إلى الفقير الصالح المتعفـف.. لا يتحـدث معـه.. بل ويسـلم عليه سـلام من يخاف أن يعديه بفقـره.. السـلام: بـأطراف الأصابع.. والسـؤال عن الحـال: فيه عبـوس وجه، وسوء أدب.

والتفت -أخي- يمنة لـــترى كيف وقف القوم .. يهللون ويرحبون .. من القادم؟ إنه

---

[1] (?) الفوائد: 127.

[2] (?) حلية الأولياء: 7/37.

من أهل الدنيا .. من حاز الدينار والــدرهم.. وربما أنه لا يصلي..

وربما يصم الآذان، ويـــزكم الأنـــوف.. سوء عمله.. ولكن انظر الفرق.. بين من لو أقسم على الله لأبــره، وكيف هو لا يســأل عنه، إن غاب أو حضر، وبين من لا يزن عند الله جنـاح بعوضة كيف اسـتقباله والحفـاوة به..

إنها الدنيا..

واعلم بأن المرء والناس بعد

قال عبد الله بن عون: إن من كان قبلنا كانوا يجعلـون للـدنيا ما فضل عن آخـرتهم، وإنكم تجعلـــون لآخـــرتكم ما فضل عن دنياكم[1].

أخي المسلم:

إن عمر الدنيا والله قصير، وأغنى غــني فيها فقــير، وكـأني بك في عرصة المــوت، وقد استنشـــقت ريح الغربة قبل الرحيـــل، ورأيت أثر اليتم في الولد قبل الفـــــراق،

---

1 (?) صفة الصفوة: 3/101.

فتيقظ إذن من رقـــدة الغفلـــة، وانتبه من السـكرة، وأقلع حب الـدنيا من قلبـك، فـإن العبد إذا أغمض عينه وتـولى، تمـنى الإقالة فقيل كلا[1].

في يوم من أيام الحياة سـتدبر الـدنيا وتقبل الآخرة.. وما كان بعيـدًا أضـحى قريبًـا.. وما كنت تراه في الـذاهبين.. سـيراه الأحيـاء فيـك.. مـوت فجــأة.. أو مــرض بغتــة.. أو أنت على فراشك تحمل إلى قبرك .. إنها عبر ترى ومصارع تترى.. ونحن في غفلتنا نائمون.. وفي غينا تائهون.

تبًا لطالب دنيا لا صفاؤها كدر، شبابها هرم، لا يستفيق من فخلِّ عنها، ولا واعمل لدار نعيم

كأنما هي في أمانها غرر، لذاتها ندم، لو كان يملك ما فإنها نعم في موت ولا هرم[2]

قال أبو حازم: من عرف الدنيا لم يفرح فيها برخاء .. ولم يحزن على بلوى.

---

[1] (?) عدة الصابرين: 329.
[2] (?) مكاشفة القلوب: 329.

وقال علي بن أبي طالب: من جمع فيه ست خصـــال لم يـــدع للجنة مطلبًا ولا عن النار مهربًا، أولها: من عـرف الله وأطاعـه، وعـرف الشـيطان فعصـاه، وعـرف الحق فاتبعه، وعرف الباطل فاتقاه، وعرف الدنيا فرفضها، وعرف الآخرة فطلبها[1].

وحسن ظنك **فظن شرًا وكن**

والوجل -أخي الكـريم- هو الخـوف مما ذكره الفضيل بن عياض بقوله: الدخول في الدنيا هين، ولكن الخروج منها شديد[2].

الخروج أنفاس تتوقـف.. ولحظـات عصـيبة.. تنتزع فيها الروح انتزاعًا.. وحتى إن كان الخــروج ســهلاً، فــإن الجــري وراء الــدنيا واللهث وراء المـادة.. يجلب تشـتت الـذهن وكـثرة الهمـوم.. واضطراب النفس.

أرى الدنيا لمن **هموما كلما كثرت**
تهين المكرمين **وتكرم كل من**
إذا استغنيت عن **إليه[3]**

1 (?) الإحياء: 3/221.
2 (?) الإحياء: 3/224.

أخي الحبيب:

كن من أبنـاء الآخـرة، ولا تكن من أبنـاء الدنيا، فإن الولد يتبع الأم، والدنيا لا تسـاوي نقل أقدامك إليها، فكيف تعدو خلفها[1]؟

انفض يديكِ من والناس قد ماتوا[2]

قـالت امـرأة حـبيب بن محمـد: كـان يقـول: إن مت اليـوم فأرسـلي إلى فلان يغسـلني، وافعلي كـذا واصـنعي كـذا، فقيل لامرأتـه: أرأى رؤيـا؟ قـالت: هـذا قوله كل يوم[3].

أخي.. إذا اسـتغنى النـاس بالـدنيا، فاسـتغن أنت باللـه، وإذا فرحـوا بالـدنيا فـافرح أنت باللـه، وإذا أنسـوا بأحبـابهم فاجعل أنسك باللـه، وإذا تعرفـوا إلى ملوكهم وكبرائهم وتقربوا إليهم؛ لينـالوا بهم العزة والرفعة، فتعرف أنت إلى الله، وتودد

---

3 (?) الإحياء: 2/344.

1 (?) الفوائد: 68.

2 (?) شذرات الذهب: 3/388.

3 (?) صفة الصفوة: 3/320.

إليه تنل بذلك غاية العز والرفعة[1].

وخطب عمر بن عبد العزيز فقال في خطبته: لكل سفر زاد، فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة بالتقوى، وكونوا كمن عاين ما أعد الله له من عذابه، فترغبوا وترهبوا، ولا يطولن عليكم الأمد فتقسوا قلبكم. وتنقادوا لعدوكم، فإن الله ما بسط أمل من لا يدري لعله لا يمسي بعد إصباحه، ولا يصبح بعد إمسائه، وربما كانت له كامنة بين ذلك خطرات الموت والمنايا، وإنما يطمئن من وثق بالنجاة من عذاب الله وأهوال يوم القيامة، فأما من لا يداوي من الدنيا كلما إلا أصابه جارح من ناحية أخرى، فكيف يطمئن؟ أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي، فتخسر صفقتي وتبدو مسكنتي في يوم لا ينفع فيه إلا الحق والصدق[2].

يا لاهيًا بالمنايا قد **وأنت عما قليل**

تبغي اللحوق بلا **إن المخفين لما**

1 (?) الفوائد: 152.

2 (?) البداية والنهاية: 9/283.

لا تركنن إلى **فأنت من عاجل**
أصبحت ترجو غدًا **ورب ذي أمل قد**
هذا شبابك قد **ما بعد شيبك لا**
ماذا التعلل بالدنيا **طيها علل**[1]

قــال محمد بن أبي عمــران: ســمعت حاتمًا الأصم وسأله رجل: على ما بنيت أمـرك هـذا في التوكل على الله؟ قال: على خصال أربـع: علمت أن رزقي لا يأكله غــيري، فاطمــأنت به نفســي، وعلمت أن عملي لا يعمله غــيري، فاطمــأنت به نفســي، وعلمت أن عملي لا يعمله غـــيري، فأنا مشغول به، وعلمت أن الموت يـأتيني بغتـة، فأنا أبــــادره، وعلمت أني لا أخلو من عين الله حيث كنت فأنا مستحي منه.

زعم الذين **أن الغريب وإن**
فأجبتهم إن **الركاب جليل**[2]

قــال عبد الله بن المبــارك: يــابن آدم.. استعد للآخرة، وأطع الله بقدر حاجتك إليـه، وأغضب الله بقدر صبرك على النار.

ســبحانك ربنا لا نحصي ثنــاء عليك أنت

---

1 (?) التبصرة: 1/49.
2 (?) شذرات الذهب: 6/349.

كما أثــنيت على نفســك.. نعصــيك بجهلنا وتعفوا برحمتك.

هــذا الفضــيل بن عيــاض يصــور حــال المؤمن في هذه الـدار بقولـه: المـؤمن في الــدنيا مهمــوم حــزين.. همه مرمة جهــازه، ومن كــان في الــدنيا كــذلك، فلا هم له إلا الـتزود بما ينفعه عند العـود إلى وطنــه، فلا ينافس أهل البلد الذي هو غــريب بينهم في عزهم، ولا يجزع من الذل عندهم[1].

إنما الدنيا فناء ليس للدنيا ثبوت
إنما الدنيا كبيت العنكبوت[2]

قــــال وهيب بن الــــورد: اتق أن تسب إبليس في العلانية وأنت صديقه في السر.

فهـذا إبليس، والنفس الأمـارة بالسـوء، والهوى أرسو قلاعهم ليصــدوا المســلم عن دينه ويزينــوا له العـثرات... فـإنهم يعملـون في هــذه الــدنيا لصــده عن الحق وتــزيين المعصية.

أخي الحبيب:

1 (?) جامع العلوم والحكم: 379.
2 (?) الشافعي: 54.

الدنيا مضمار سـباق وقد انعقد الغبـار وخفي السابق، والناس في المضمار بين فـارس وراجل وأصحاب حمر معقرة...

سوف ترى إذا **أفرسٌ تحتك أم**

ونحن نسـير إلى آجالنـا.. تنقص أعمارنا وتـدنو نهاياتنـا.. نسـير: لاهـون غـافلون، لا نحسب لهذا اليوم حسـاب.. ولا نتجهز ليـوم المعاد.

قال الحسـن: تؤمل أن تعمر عمر نـوح، وأمر الله يطرق كل ليلة[1].

يؤمل دنيا لتبقى **فوافى المنية**

حثيثًا يروي أصول **ومات الرجل**[2]

قال أبو حازم سـلمة بن دينـار: إن كـان يغنيك من الدنيا ما يكفيك، فأدنى عيش من الـدنيا يكفيـك، وإن كـان لا يغنيك ما يكفيك فليس شيء يكفيك[3].

فوالله رأينا من يملك الـــــــدنيا رحل بكفن.. ورأينا من لا يملك من الـدنيا شـيء

---

1 (?) الزهد: للحسن البصري.

2 (?) صفة الصفوة: 4/65.

3 (?) صفة الصفوة: 2/158.

رحل بكفن.. تســاوى الجميع عند هــذه الحفرة -القـبر- واختلفـوا في داخلهـا.. فإما روضة من ريــاض الجنــة، أو حفــرة من حفر النار.

إنما الدنيا إلى الجنة والـنار طـريق
والليالي متجر الإنسان والأيام سوق[1]

عندما سئل أبو صفوان الرعيني: ما هي الــدنيا الــتي ذمها الله في القــرآن، والــتي ينبغي للعاقل أن يتجنبهــا؟ فقــال: كل ما أحببت في الدنيا تريد به الدنيا فهو مـذموم، وكل ما أحببت منها تريد به الآخــرة فليس منها[2].

وقــال علي بن أبي طــالب رضي الله عنه يصف الــدنيا: حلالها حســاب، وحرامها النار.

وقيـل: أوحي إلى داود عليه السـلام: يا داود: إني لأنظر إلى الشــيخ في كل يــوم

---

1 (?) الزهد: للبيهقي 317.
2 (?) تزكية النفوس: 128.

صـباحًا ومسـاءً وأقـول لـه: يا عبـدي، كـبر سـنك، ورق جلـدك، ودق عظمـك، وحـان قدومك علي، فاستحي مـني فـإني اسـتحي منك[1].

يا بؤس للإنسان في الدنيا وإن نال
يعيش مكتوم فيها ومكتوم
بينا يرى في صحة مغتبطًا قيل
وبينما يوجد فيها ثاويًا قيل
فأوفر الحظ لمن العمل[2]

قال الحسن رضي الله عنـه: يـابن آدم، إنما هي أيام إذا مضى يومك ينقصك.

ولهفنا ولهثنا وراء الـدنيا.. نخـاف من الفقر ونطمع في جمع الحطـام.. كأننا نخلد أو نبقى فيها إلى الأبـد.. نخـاف الفقـر، ولا نخاف الحسـاب.. نخـاف الجـوع، ولا نخـاف من التقريع والعقاب.

قـال يحـيى بن معـاذ رحمة الله عليـه: مسـكين ابن آدم لو خـاف النـار كما يخـاف

---

1 (?) الزهر الفائح: 42.
2 (?) تاريخ بغداد: 10/367.

الفقر دخل الجنة[1].

وانظر إلى حــال من ســلف كما قــال عنهم الحسن البصري: والذي نفسي بيــده، لقد أدركت أقوامًا كانت الدنيا أهون عليهم من الـتراب الـذي يمشون عليه.

نذم زمانا ما له ونشكوه لو يغني
ولا ذنب فيها جنيناً فعوقبنا بما
هو القدر الجاري لما قدر الله[2]

قـــال الفضـــيل، يفصل واقع الأيـــام، ويحكى ســيرها: إنما أمس: فعــل، واليــوم: عمل، وغدًا. أمل[3].

---

1 (?) الإحياء: 4/ 170.
2 (?) جنة الرضا: 2/260.
3 (?) السير: 8/ 427.

أخي المسلم:

إنما الليل والنهـار مراحل ينزلها النـاس مرحلة مرحلة حتى ينتهي ذلك بهم إلى آخر سـفرهم، فـإن اسـتطعت أن تقـدم في كل مرحلة زادًا لما بين يـــديها فافعـــل، فـــإن انقطـــاع الســـفر عن قـــريب ما هو والأمر أعجل من ذلـك، فـتزود لسـفرك واقض ما أنت قـــاض من أمـــرك، فكأنك بـــالأمر قد بغتك.

كتب بعض السـلف إلى أخ لـه: يا أخي: يخيل إليك أنك مقيم، بل أنت دائب السـير، تساق مع ذلك سـوقًا حثيثًـا، المـوت متوجه إليك، والـدنيا تطـوى من ورائـك. وما مضى من عمرك فليس بكار عليك يوم التغابن[1].

ونحن نسير في ركب الزاهدين وتمر بنا قوافل الصـــالحين.. كيف نـــرى الجمع بين الدنيا والآخرة.. وبين الزهد والقناعة..

قـــال علي بن الفضـــيل: ســـمعت أبي يقـــول لابن المبـــارك: أنت تأمرنا بالزهد

---

1 (?) جامع العلوم والحكم: 381.

والتقلل والبلغة، ونراك تأتي بالبضـائع، كيف ذا؟ قال: يا أبا علي، إنما أفعل ذلك لأصـون وجهي، وأكـرم عرضـي، وأسـتعين به على طاعة ربي، قال: يا ابن المبارك.. ما أحسن هذا إن تم هذا!!

أخي الحبيب:

كيف ترانا على هـذه الـدنيا؟! ما أحسن الـــدنيا إذا أتت من حلال.. وصـــرفت في حلال.. فأوجه الخـــير لا تحصـــى.. فمن: صدقة، إلى إعانة ملهوف، ونجـدة مصـاب.. إلى رعاية أرامل، وكفالة أيتام.

أخي.. قـال سـفيان: احـذر سـخط الله في ثلاث: احـــذر أن تقصر فيما أمـــرك، واحـــذر أن يـــراك وأنت لا ترضى بما قسم لك، وأن تطلب شيئًا من الدنيا فلا تجـده أن تسخط على ربك.

إن من قسم الأرزاق في هـذه الـدنيا هـو: اللـه، فلا بد أن ترضى لما قسم لك قل أو كـثر.. أتى أو ذهب.. وسواء أقبلت الـدنيا أو أدبـرت.. لا بد أن ترضى بنصـيبك منها ولا تشـغل بالـك.. فلا

تتسـخط لما قسم لك اللـه، ولا تنظر إلى من أعلى منك دنيـا، ولكن انظر إلى الصـالحين الأخيار..

من شاء عيشًا في دينه ثم في
فلينظرن إلى من دونه مالا[1]

وخـير من ذلك كله ما قاله -جل وعلا- في محكم كتابـه: ﴿**لَا تَمُـدَّنَّ عَيْنَيْـكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ**﴾ [طه: 131].

قال إبراهيم الأشعث: سـمعت الفضـيل يقـول: رهبة العبد من الله على قـدر علمه بالله وزهادته في الدنيا على قدر رغبته في الآخـرة، من عمل بما علم اسـتغنى عما لا يعلم، ومن عمل بما علم وفقه الله لما يعلم، ومن سـاء خلقه شـان دينه وحسـبه ومروءته[2].

قـال بعض الزهـاد: ما علمت أن أحـدًا سمع بالجنة والنار تأتي عليه سـاعة لا يطيع

---

1 (?) الإحياء: 4/ 131.
2 (?) السير: 8/ 426.

الله فيهــا: بــذكر، أو صــلاة، أو قــراءة، أو إحسـان، فقـال له رجـل: إني أكـثر البكـاء، فقـال: إنك إن تضـحك مقر بخطيئتك خـير من أن تبكي وأنت مدل بعملك. وإن المدل لا يصعد عمله فوق رأسـه، فقـال: أوصـني، فقال: دع الدنيا لأهلها كما تركوا هم الآخـرة لأهلهـــا، وكن في الـــدنيا كالنحلة إن أكلت أكلت طيبًا وإن أطعمت أطعمت طيبًـا، وإن ســـقطت على شـــيء لم تكســـره ولم تخدشه[1].

أخي الحبيب:

ما تذكر أحد الموت إلا هانت الــدنيا في عينــه، وزالت الغشــاوة من أمــام نــاظره.. فإنها ســـنوات معـــدودة مهما جمعت فيها ومهما حصـلت على كنوزهـا؛ فـإن وراء ذلك هادم اللذات ومفرق الجماعات.

قـال الحسـن: إن المـوت فضح الـدنيا، فلم يترك لذي لب فيها فرحًا[2].

وأي فرح -أخي- وها هي الدنيا..

---

1 (?) الفوائد: 153.

2 (?) تاريخ بغداد: 14/444.

قد نادت الدنيا **لو كان في العالم**
كم واثق بالعمر **يجمع**[1]

قال أبو عبيدة الناجي -رحمه الله-: دخلنا على الحسن البصري -رحمه الله- في يومه الذي مات فيه، فقال: مرحبًا بكم وأهلاً، وحياكم الله بالسلام، وأحلنا وإياكم دار المقام، هذه علانية حسنة إن صدقتم وصبرتم، فلا يكونن حظكم من هذا الأمر أن تسمعوه بهذه الآذان، وتخرجوه من هذه الأفواه، فإن مَنْ رأى محمد رسول الله رآه غاديًا ورائحًا، لم يضع لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة، ولكن رفع له علم فشمر إليه.. الوحا الوحا، النجاء النجاء، علام تعرجون؟ ارتبتم ورب الكعبة، كأنكم والأمر معًا، رحم الله امرءًا جعل العيش عيشًا واحدًا، فأكل كسرة، ولبس خلقًا، ولصق بالأرض، واجتهد في العبادة، وبكى على الخطيئة، وفر من العقوبة، وطلب الرحمة، حتى يأتيه أجله وهو على ذلك[2].

---

1 (?) طبقات الشافعية: 6/78.
2 (?) العاقبة: 89.

قال النابغة الجعدي عن الدنيا وحال الإنسان فيها:

المرء يرغب في ... ة وطول عيش قد
تفنى بشاشته ... ـقى بعد حلو
وتسوءه الأيام حتـ ... ـى ما يرى شيئًا

روى أبو كبشة عن النبي ﷺ قـال: «**إنما الدنيا أربعة نفر: عبد رزقه الله مـالاً وعلمًـا، فهو يتقي فيه ربـه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقًا، فهـذا بأفضل المنـــازل، وعبد رزقه الله علمًـا، ولم يرزقه مـالاً؛ فهو صـادق النية، فيقول: لو أن لي مـالاً لعملت بعمل فلان، فهو بنيته فأجرهما ســواء. وعبد رزقه الله مــالاً ولم يرزقه علمًا فهو يتخبط في ماله بغـير علم، ولا يتقي فيه ربـه، ولا يصل فيه رحمــه، ولا يعلم فيه لله حقًا، فهذا بـأخبث المنـازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علمًا، وهو يقـول لو أن لي مـــالاً لعملت فيه بعمل**

فلان؛ فهو بنيته فوزرهما سواء»[1].

أخي الحبيب:

يكفي من الـــدنيا أنها مزرعة الآخـــرة، وأنها موسم العبـــادات وزمن الطاعـــات، فيها نـــتزود للآخرة.. ونسير مرحلة إلى الآجلة.

لا تتبع الدنيا وأيامها ذمًا وإن دارت بك الدائرة
من شرف الدنيا ومن فضلها أن بها تستدرك الآخرة[2]

قــال الفضــيل -رحمه اللــه-: جعل الله الشر كله في بيت، وجعل مفتاحه حب الـــدنيا، وجعل الخـــير كله في بيت مفتاحه الزهد في الدنيا[3].

أخي الحــــــــبيب.. أين نحن من هؤلاء؟

قــال عبد الله بن داود: كــان أحــدهم إذا بلغ أربعين سنة طوى فراشه، أي كـان لا ينـام طـول الليــل، يصــلي ويســبح ويســتغفر.. يســتدرك ما

1 (?) جامع العلوم والحكم: 429.الحــديث رواه أحمد والترمذي وقال الترمذي: حسن صــحيح [تحفة الأحــــوذي 6/1615] وقــــال الشـــيخ الألباني، صحيح.
2 (?) أدب الدنيا والدين: 134.
3 (?) الإحياء: 4/257.

مضى من عمره ويستعد لما أقبل من أيامه.

إن لله رجالاً فطنا   طلقوا الدنيا
نظروا فيها فلما   أنها ليست لحي
جعلوا لجة   صالح الأعمال

كـــــان عبد الله بن ثعلبة يقـــــول في موعظتـه: تضـحك يا هـذا ولعل أكفانك عند القصار!![1].

يا راقــدًا وقد أوذن بالرحيــل، يا مشــيد البنيان في مدارج السيول، بـادر العمل قبل انقضــاء العمــر.. لا تنس من يعد الأنفــاس للقائك.

أخي الحبيب:

خذ من الرزق ما   ومن العيش ما
كل هذا سينقضي   كسراج إذا انطفا

قال يحيى بن معاذ: الدنيا ذات اشتغال، والآخـــرة دار أهـــوال، ولا يـــزال العبد بين الأشغال والأهـوال حـتى يسـتقر به القـرار، إما إلى جنة وإما إلى نار[2].

أخي المسلم:

---

1 (?) العاقبة: 88.
2 (?) الزهد: للبيهقي، 248.

من بـذل وسـعه في التفكر التـام، علم أن هـذه الـدار رحلـة، فجمع للسـفر رحلـه، ويعلم أن مبدأ السفر من ظهـور الآبـاء إلى بطون الأمهات، ثم إلى الدنيا، ثم إلى القبر، ثم إلى الحشـر، ثم إلى دار الإقامة الأبديـة، فـــدار الإقامة هي دار الســـلام من جميع الآفات، وهي دار الخلود، والعـدو سـبانا إلى دار الدنيا، فنجتهد في فكاك أســرنا، ثم في حث الســير إلى الوصــول إلى دارنا الأولى. وليعلم أن مقــدار الســير في الــدنيا يســير ويقطع بالأنفــاس، ويســير بالإنســان ســير السفينة ولا يحس بسيرها وهو جالس فيها.

ولا بد له في ســـــفره من زاد، ولا زاد إلى الآخـــرة إلا التقـــوى، فلا بد من تعب الشخص والتصـبر على مـرارة التقـوى، لئلا يقـول وقت السـير: رب ارجعـون، فيقـال: كلا، فلينتبه الغافل من كسل مسـيره، فـإن الله تعـالى يريه في قطع مســافة ســفره آيات يرسلها تخويفًا لعبـاده، لئلا يميلـوا عن طـريقهم المسـتقيم، ونهجهم القـويم، فمن

مـــالت به راحلته عن طريق الاســـتقامة، فــرأى ما يخــاف منــه، فلــيرغب إلى الله بالرجوع إليه عما ارتكبه من السبل، فيتوب من معصيته[1].

والحال في الدنيا كما وصــفها الربيع بن خثيم عندما سئل: كيف أصبحت يا أبا يزيد؟ قال: أصبحنا ضعفاء مـذنبين، نأكل أرزاقنـا، وننتظر آجالنا[2].

وكان شميط بن عجلان يقول إذا وصف أهل الـــدنيا: حيـــارى ســـكارى، فارســـهم يركض، وراجلهم يسعى سـعيًا، لا غـنيهم ولا فقيرهم يقنع[3].

أخي:

خذ القناعة من لو لم يكن لك

ومن استعد للقاء الله، واســتثمر أوقاته فيما يعـــود عليه نفعها في الآخـــرة؛ فإنه سـيفرح يـوم لا ينفع مـال ولا بنـون.. يـوم

---

1 (?) عدة الصابرين: 330.

2 (?) صفة الصفوة: 3/67.

3 (?) صفة الصفوة: 3/ 346.

تتطاير الصحف، وترتجف القلـوب، وتتقلب الأفئــدة.. وتــرى النــاس ســكارى وما هم بسكارى.. ولكن عذاب الله شديد.

قال أنس بن عيـاض: رأيت صـفوان بن سليم.. لو قيل له غدًا القيامة، ما كان عنده مزيد على ما هو عليه من العبادة[1].

هـؤلاء قـوم جاهـدوا أنفسـهم.. وتفكـروا في آخرتهم.. واستعدوا لمعادهم.

إذا ما عدت عن الحق زجرناها
وإن مالت إلى الأخرى عن الأخرى
تخادعنا ونخدعها غلبناها[2]

قـال محمد بن الحنفيـة: كل ما لا يبتغى به وجه الله يضمحل[3].

فمن أراد الـدنيا للـدنيا انقطعت عنه مع أنفاسه الأخـــــيرة.. وولت هاربة عنه في لحظاته الرهيبـــة.. ومن أراد الـــدنيا طريقًا إلى الآخــــرة وســـبلاً إلى جنة عرضـــها الســـموات والأرض، فحســـبه ما طـــرق..

---

1 (?) حلية الأولياء: 3/ 159.
2 (?) صفة الصفوة: 4/ 114.
3 (?) حلية الأولياء: 3/176.

وســــبيله إلى دار الســــلام برحمة من الله ورضوان.

وأهل الطاعة والصـــلاح قـــوم مثلنا يحبـــون الــدنيا وزينتهــا، ولكنهم قــدموا باقية على فانيــة، فسهل الله لهم الطريق وأذل لهم الصعاب.

صبرت على ... وألزمت نفسي
وكانت على الأيام ... فلما رأت عزمي
فقلت لها يا نفس ... فقد كانت الدنيا
خليلي لا والله ما ... تمر على الأيام إلا
وما النفس إلا ... تسلت[1]

قـــال رجل للفضـــيل بن عيـــاض: كيف أصبحت يا أبا علي؟ فكان يثقل عليــه، كيف أصـــبحت؟ وكيف أمســـيت؟! فقـــال: في عافية، فقـال: كيف حالـك؟ فقـال: على أي حال تسأل؟ عن حال الدنيا أو حال الآخرة؟ إن كنت تسأل عن حال الدنيا فإن الدنيا قد مــالت بنا وذهبت بنا كل مــذهب، وإن كنت تسأل عن حال الآخرة فكيف ترى حــال من كثرت ذنوبه، وضـعف عملـه، وفـني عمـره، ولم يتزود لمعاده، ولم يتـأهب للمـوت، ولم

---

[1] (?) شذرات الذهب: 2/364.

يخضع للمــوت، ولم يتشــمر للمــوت، ولم يتزين للموت... وتزين للدنيا[1].

وحـال الكثـير منا يصـفه عـوف بن عبد الله حينما قـال: إن من كـان قبلكم كـانوا يجعلون للـدنيا ما فضل عن آخـرتهم، وإنكم اليـــوم تجعلـــون لآخـــرتكم ما فضل عن دنياكم[2].

وما نراه اليوم من بذل الأوقات والجهد والأخذ والعطـاء والتـدقيق والتمحيص لأجل الـدنيا لوجـدنا العجب... حـتى إن البعض لو أراد شـراء حاجة حقـيرة أشـغل نفسه أيامًا عديدة، وأضاع من أوقاته سـاعات ثمينـة... ولو رأيته في المسـجد لـرأيت نقر الصـلاة وعـــدم الاهتمـــام بركوعها وســـجودها.. بل ومسابقة الإمـام.. يؤديها بغـير خشـوع.. ولا ترى منه الدموع.

فالكثير من النـاس مهمـوم مغمـوم في أمـور الـدنيا، ولا يتحـرك له طـرف إذا فاتته مواسم الخـــيرات أو ســـاعات تحـــري

---

1 (?) حلية الأولياء: 8/86.

2 (?) تذكرة الحفاظ: 1/299.

الإجابات.. تراه لاهيًا، ساهيًا.. شاردًا.. يجمع ويطـرح، ويزيد وينقص.. وكـأن يومه الـذي يمر به سيعود إليـه.. أو شـهره الـذي مضى سيرجع إليه؟!

قال بندار يتحدث عن يحـيى بن سـعيد: اختلفت إليه عشـــرين ســـنة، فما أظن أنه عصي الله قط[1].

أخي المسلم:

اصبر علي مضض	**وفي الرواح على**
لا تضجرن ولا	**فالهم يتلف بين**
إني رأيت في	**للصبر عاقبة**
وقل من جد في أمر	**فاز بالظفر[2]**

قال يحيى بن معـاذ: يا ابن آدم.. طلبت الـــدنيا طلب من لا بد له منهـــا، وطلبت الآخـرة طلب من لا حاجة له إليهـا، والـدنيا قد كفيتها وإن لم تطلبها، والآخـرة بـالطلب منك تنالها .. فاعقل شأنك.

أخي الحبيب:

من العجب كل العجب أن العبد يصــدق

---

1 (?) موارد الظمآن: 3/276.

2 (?) عدة الصابرين: 355.

بدار الخلود، وهو يسعى لـدار الغـرور، فمن أحبه الله حماه عن الدنيا كما يحمي أحدكم مريضه عن المـــاء، وقد ورد في الحـــديث مرفوعًــــــــا: «**إن الله لم يخلق خلقًا أبغض إليه من الدنيا، وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها**».

وقيل لعلي بن أبي طـــالب: يا أمـــير المؤمنين صف لنا الدنيا؟

قـــال: وما أصف لكم من دار: من صح فيها أمن، ومن سـقم فيها نـدم، ومن افتقر فيها حـــزن، ومن اســـتغنى فيها فتن، في حلالها الحساب، وفي حرامها النار.

وقد وصف الدنيا يونس بن عبيد فقــال: ما شـبهت الـدنيا إلا كرجل نـائم، فـرأى في منامه ما يكره وما يحب، فبينما هو كذلك إذ انتبه[1].

وكان شميط بن عجلان يقول: إنســانان معذبان في الدنيا: غــني أعطي دنيا فهو بها مشــــغول، وفقــــير زويت عنه فهو يتبعها

---

1 (?) عدة الصابرين: 355.

نفسه، فنفسه تقطع عليها حسرات[1].

وحين ذم رجل الـــدنيا عند علي بن أبي طالب قال: الـدنيا دار صـدق لمن صـادقها، ودار نجـاة لمن فهم عنهـا، ودار غـنى لمن تزود منها[2].

وكثير يـذم الـدنيا وأنها السـبب في الطغيـان والبعد عن الطاعـة.. وما علم أنها دار للاسـتزادة .. بها الطريق إلى الجنة يبـنى.. وبها الـتزود من الدرجات العلا.. ولكن:

يعيب الناس كلهم زماننا **وما لزماننا عيب سوانا**
نعيب زماننا والعيب فينا **ولو نطق الزمان بنا هجانا**

قال الأوزاعي يعظ الناس: تقـووا بهـذه النعم التي أصبحتم فيها على الهرب من نار الله الموقـــدة؛ الـــتي تطلع على الأفئـــدة، فـإنكم في دار الثـواء (الإقامـة) فيها قليـل، وأنتم فيها مؤجلـــون، خلائف بعد القـــرون الـذين اسـتقبلوا من الـدنيا آنقها وزهرتهـا،

---

1. (?) صفة الصفوة: 3/347.
2. (?) أدب الدنيا والدين: 134.
3. (?) الزهد للبيهقي: 157.

فهم كـــانوا أطـــول منكم أعمـــارًا وأمد أجســاما، وأعظم آثــارًا، فجــرودا الجبــال، وجـابوا الصـخور، ونقبـوا في البلاد مـؤثرين ببطش شـديد: وأجسـاد كالعمـاد، فما لبثت الأيـام والليـالي أن طـويت مـدتهم، وعفت آثارهم، وأخوت منـازلهم، وأنست ذكـراهم، فما تحس منهم من أحد أو تســـــمع له ركزًا[1]. كانوا بلهو الأمل آمنين، لبيـان قـوم غافلين ولصباح قوم نادمين[2].

أخي الحبيب:

لا تتم الرغبة في الآخــرة إلا بالزهد في الــدنيا ولا يســتقيم الزهد في الــدنيا إلا بعد نظرين صحيحين:

النظر الأول:

النظر في الـــدنيا وســـرعة: زوالهـــا، وفنائهــا، واضــمحلالها، ونقصــها، وخســتها، وألم المزاحمة عليها والحــرص عليهــا، وما في ذلك من الغصص والنغص والأنكــــاد،

---

1 (?) الركز: الصوت الخفي.

2 (?) الشكر: 15.

وآخر ذلك الــزوال والانقطــاع مع ما يعقب من الحسـرة والأسـف، فطالبها لا ينفك من هم قبل حصولها، وهم في حال الظفر بهــا، وغم وحزن بعد فواتها.

النظر الثاني:

النظر في الآخـــــرة وإقبالها ومجيئها ولا بـــد، ودوامها وبقائهــا، وشــرف ما فيها من الخـيرات والمسـرات، والتفـاوت الـذي بينه وبين ما ههنـــا، فهي كما قـــال ســـبحانه: ﴿ **وَالْآَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾ فهي خيرات كاملة دائمة[1].

ألا كل شيء ما   وكل نعيم لا

إلا نعيم الجنـــــــة؛ جعلنا الله من أهله وممن يتفيأ ظلالها عن اليمين وعن الشمال.

أخي المسلم:

كـــــــان فخر الدولة علي بن ركن (من ملـوك بـني بويـه) يقـول: جمعت لولـدي ما يكفيهم، ويكفي عســـكرهم خمس عشـــرة

---

1 (?) الفوائد: 123.

سنة، وتوفي في قلعة بالري، وكانت مفاتيح خزائنها مع ولـده، ولم يحضـر، فلم يوجد له كفن، فــابتيع من قيم الجــامع الــذي تحت القلعة ثـــــوب خلف فيـــــه، واختلف الجند فاشـــــتغلوا عنه حـــــتى أراح، فلم يمكنهم القــرب منــه، فشد بالحبــال، جر على درج القلعة من بعد حـتى تقطـع، وكـان قد تـرك ألفي ألف دينـار، وثمانمائة وخمسة وسـتين ألفًا، وكان في خزائنه من الجوهر والياقوت واللؤلؤ والبلخش والمــاس أربعة عشر ألفًا وخمســمائة قطعة قيمتها ألف ألف دينــار، ومن أواني الفضة ما وزنه ثلاث ألاف ألـف، ومن الأثـاث ثلاثة آلاف حمـل، ومن السـلام ألف حمل، ومن الفرش ألفـان وخمســمائة حمل[1].

سـبحان الله العظيم في تــدبيره وفي تصـريفه.. ملك يملك تلك الأمـوال، ولا يجد له كفن فيكفن بقيمة ما ابـــــتيع من قيم الجامع.

---

1 (?) شذرات الذهب: 3/124.

ملك الأموال والفرش والـدور والقصـور ولم يوجد له كفن يكفن فيه..؟!

حالي مع الدهر همته في فكاك
كطائر ضم رجليه فتشتبك[1]

قــال أبو الــدرداء: من لم يكن غنيًا عن الدنيا فلا دنيا له[2].

وقال الحسن -رحمه الله- يصف الـدنيا: نعمت الدار الـدنيا كـانت للمـؤمن، ذلك أنه عمل قليلاً وأخذ زادًا منها إلى الجنـــــــة، وبئست الدار كانت للكافر والمنـافق، وذلك أنه ضيع لياليه وكان زاده منها إلى النار[3].

يا من تمتع بالدنيا أفنيت عمرك فيما
ولا تنام عن حين تلقاه[4]

وحــال المــؤمن في هــذه الــدنيا حــال عســيرة.. فهو في جهــاد ومجاهــدة وصــبر ومصابرة.

قال الحسن: المؤمن في الدنيا كالأسير

---

1 (?) السير: 19/517.
2 (?) حلية الأولياء: 1/210.
3 (?) جامع العلوم والحكم: 360.
4 (?) الزهد للبيهقي 282.

يسعى في فكاك رقبته، لا يأمن شيئًا حتى يلقى الله عز وجل[1].

أخي المسلم: هذه الدنيا

فإن تجتنبها كنت **نازعتك كلابها**[2]

قال ابن مسعود: ما أحد أصبح في الدنيا إلا وهو ضيف، وماله عارية، والضيف مرتحل، والعارية مردودة.

وما هذه الأيام إلا **يحث بها داع إلى**

وأعجب شيء لو **منازل تطوى**

نداء أخي الكريم من أبي حازم سلمة بن دينار: إن بضاعة الآخرة كاسدة، فاستكثروا منها في أوان كسادها، فإنه لو قد جاء يوم نفاقها لم تصل منها لا إلى قليل ولا إلى كثير[3].

فإن يوم القيامة يوم الجزاء والحساب.. هناك عندما تشرق شمس الآخرة حساب بلا عمل، وهنا حيث شمس الدنيا عمل بلا حساب.. فلنكثر من العمل قبل انقطاعه

---

1 (?) جامع العلوم والحكم: 269.

2 (?) شذرات الذهب: 2/10.

3 (?) حلية الأولياء: 3/242.

ونستفيد من الأمر قبل انقضائه.. ونستعد للحساب قبل سؤاله.

إنما الدنيا وإن	**قليل من قليل**
ليس تعدو أن	**لك في زي جميل**
ثم ترميك من المأ	**من بالخطب**
إنما العيش جوار	**في ظل ظليل**[1]

وحال السلف في هذه الدنيا خير حال.. فلم ينظروا إلى زخرفها ومتعها ودورها وقصورها.. فهذا عمر بن الخطاب يعتلي المنبر، ويخطب في الناس، وهو خليفة وعليه إزار فيه ثنتا عشرة رقعة.

الخليفة الثاني هذا هو على المنبر.. لو تمزق ثوب أحدنا لما ذهب إلى المسجد وتخلف عن صلاة الجماعة .. بل الكثير يترك صلاة الجماعة لأوهى الأعذار..

ومن وصايا المسيح عليه السلام لأصحابه: اعبروها ولا تعمروها، وروي أنه قال: من ذا الذي يبني على موج البحر

---

1 (?) حلية الأولياء: 10/217.

دارًا؟ تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارًا[1].

لنسير مع مسـروق بن الأجـدع وقد أخذ بيد ابن أخ له فـــــــــارتقى به على كناسة بالكوفة فقال: ألا أريك الـدنيا، هـذه الـدنيا، أكلوها فأفنوهــا، لبســوها فأبلوهــا، ركبوها فأنضـوها، سـفكوا فيها دمـاءهم، واسـتحلوا فيها محارمهم، وقطعوا فيها أرحامهم[2].

وقـــال الحسن يصف حـــال الأخيـــار والصــالحين: رحم الله أقوامًا كـانت الــدنيا عندهم وديعة، فأدوها إلى من ائتمنهم عليها ثم راحوا خفافًا[3].

وإني إذا ما فاتني ... متندمًا[4]

أخي الحبيب: هذه الـدنيا الـتي نحب؟ ما نهايتهـا؟ وهـذه الأمـوال الـتي نجمع أين مصيرها؟

كتب رجل إلى أخ لـــه: أما بعـــد، فـــإن الـــدنيا حلم، والآخـــرة يقظـــة، والمتوسط

---

1 (?) جامع العلوم والحكم: 379.
2 (?) حلية الأولياء: 2/97.
3 (?) الإحياء: 3/221.
4 (?) شذرات الذهب: 3/57.

بينهما الموت، ونحن في أضغاث أحلام، والسلام.

وانظر -أخي الحبيب- إلى ما فات من عمرك إنه كأضغاث أحلام ... سنوات مرت كلمح البصر ذهبت بأفراحها وأحزانها.. وحلوها ومرها.. ولكن -أخي- بقي الحساب!!

لا تغبطن أخا ... ولا للذة وقت
فالدهر أسرع ... وفعله بين للخلق
كم شارب عسلاً ... من به ذبحا[1]

قال ضرار بن مرة: قال إبليس، إذا استمكنت من ابن آدم ثلاثًا أصبت منه حاجتي: إذا نسي ذنوبه، واستكثر عمله، وأعجب برأيه[2].

قال بعض السلف: احذروا دار الدنيا، فإنها أسحر من هاروت وماروت، فإنهما يفرقان بين المرء وزوجه، والدنيا تفرق بين العبد وربه[3].

عنت الدنيا ... واستراح الزاهد

---

1 (?) السير: 18/296.
2 (?) صفة الصفوة: 3/116.
3 (?) تسلية أهل المصائب: 248.

كل ملك نال مالاً يقتني حسبه مما حوى مفتتن[1]

حالنا كما يـــراه أبو الـــدرداء رضي الله عنه بقولـــه: ما من أحد إلا وفي عقله نقص عن حلمه وعلمـــه، وذلك أنه إذا أتته الـــدنيا بزيادة في مـال ظل فرحًا مسـرورًا، والليل والنهار دائبان في هدم عمره لا يحزنه ذلك، ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص[2].

الكثـــير يحملهم طلب الـــدنيا على الهم والغم وتكـــــــــدر العيش، ولم نر إلا القليل يحزن لذهاب عمره ودنو أجله.

ينسى الكثير سنوات عمره التي مضت، وأيامه الـــتي انقضـــت، ولا ينسى شـــيئًا من أمـــور الـــدنيا.. كـــأن الهـــدف جمع الـــدنيا والتفرغ لها.

تفكرت في الدنيا وذلك بالتقوى من أسأت بها ظنًا وقد كنت عبدها[3]

هـــذا صـــوت يأخـــذه العجب من عـــدم

1 (?) السير: 19/483.
2 (?) السير: 19/483.
3 (?) طبقات الحنابلة: 285.

توازن الأمـور.. هـذا يحـيى بن معـاذ يقـول: عجبت ممن يحزن عن نقصان مالــه!! كيف لا يحزن على نقصان عمره؟!

لم نر ولم نسـمع عمن بـات مهمومًا مغمومًا من نقصان عمـره.. وذهـاب أوقاتـه.. ولكننا نـرى الكثير مهمومًا مغمومًا من نقصان ماله!! أين هو عن تبدل المنازل بعد فـترة يسـيرة؟ أين هو عن الحساب والجزاء؟!

من كان يوحشه **وأن يبدل منها**
ماذا يقول إذا **عليه واجتمعت**
ماذا يقول إذا **فردًا وقد فارق**
هنالك يعلم قدر **يلقاه من بات**

أخي الحبيب:

يا غفلة ورماح **والشيب ألقى**
ولم أعد مكانًا **غرة وقنى**[1]

من درر الكلام ونفيسه قـــول الحسن -رضي الله عنه-: من كثر ماله، كثرت ذنوبه، ومن كثر كلامه كثر كذبه. ومن سـاء خلقـه،

---

1 (?) العاقبة: 188.

عذب نفسه[1].

أخي الحـبيب: نجمع المـال لنـدرك السعادة.. ونبني القصور لنسكن الأنس في قلوبنا.. ونسافر لننسى أحزاننـا.. نسـير في كل الطـرق.. وننفق ما في أيـدينا لنسـتمتع بالسعادة .. ولكن هل هذه هي السعادة.

هنـاك من طـرق هـذه الأبـواب قبلنـا، وجـرب هـذه الـدروب معنـا.. ولكن الجميع يتفق على أن السـعادة في طاعة الله والقـرب منـه، والعمل لدار سعادة لا شـقاء فيها ولنعيم لا زوال عنه.

وما الدهر والأيام **رزية مال أو فراق**
وإن امرءًا قد **لبيب[2]**

قال وهب بن منبه: مثل الـدنيا والآخـرة مثل ضرتين، إن أرضيت إحداهما أسـخطت الأخرى[3].

والحـال -رحمنا اللـه- قـال عنها الحسن

---

1 (?) كتاب الصمت: 85.
2 (?) ديوان الإمام علي ص24.
3 (?) حلية الأولياء: 4/51.

البصري: عجبت لأقوام أمروا بالزاد، ونودي فيهم بالرحيل، وهم يلعبون!!

أخي المسلم: ما هو القياس في هذه الدنيا.. وبمـاذا تـوزن الأمـور.. هـذا علي بن أبي طالب يقول: ليس الخير أن يكـثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكـثر عملك ويعظم حلمـك، ولا خـير في الـدنيا إلا لأحد رجلين: رجل أذنب ذنوبًا فهو يتـدارك ذلك بتوبـة، أو رجل يســارع في الخـــيرات، ولا يقل عمل في تقوى كيف يقل ما يتقبل[1].

عجبت لمبتاع وللمشتري دنياه
وأعجب من هذين من ذين أخيب[2]

ومن أتته الـــدنيا بخيلها ورجلها وأقبلت إليه بأصفرها وأبيضها.. عليه أن يدرك قــول الحســن: والله ما أحد من النــاس بسط له دنيــاه، ولم يخف أن يكــون مكر به فيها إلا كـــان قد نقص عملـــه، وعجز رأيـــه، وما أمســكها الله عن عبد مســلم يظن أنه قد خــير له فيها إلا كــان قد نقص عمله وعجز

---

1 (?) صفة الصفوة: 1/321.
2 (?) وفيات الأعيان: 6/170.

رأيه[1].

---

1 (?) حلية الأولياء: 6/272.

أخي الحبيب:

اعلم أن أيــام الــدنيا كــأحلام نـــوم، أو كظل زائل، إن أضـحكت قليلاً أبكت كثـيرًا، وإن ســـرت يومًا أو أيامًا ســـاءت أشـــهرًا وأعوامًا، وإن متعت قليلاً منعت طويلاً، وما حصـــلت للعبد فيها ســـرورًا إلا خبـــأت له أضعاف ذلك شرورًا.

قـــالت: هند بنت النعمـــان: لقد رأيتنا ونحن من أعز الناس وأشدهم ملكًـا، ثم لم تغب الشمس حتى رأيتنا ونحن أذل النـاس، وأنه حق على الله - عز وجل - أن لا يملأ دارًا حبرة إلا ملأت عبرة.

وســـألها رجل أن تحدثه عن أمرهـــا، فقالت: أصبحنا ذات صـباح وما في العــرب أحد إلا يرجونــا، ثم أمســينا وما في العــرب أحد إلا يرحمنا.

وبكت أختها حرقة بنت النعمـــــان يومًا وهي في عزها، فقيل لها: ما يبكيك؟ فــذكر أنها قــالت: رأيت كــثرة أهلي وســرورهم، وقلما امتلأت دار ســرورًا إلا امتلأت حزنًــا،

قال إسحاق بن طلحة: دخلت عليها يومًا، فقلت لها: كيف رأيت عبرات الملوك؟ فقالت: ما نحن فيه اليوم خير مما كنا فيه بالأمس، إنا نجد في الكتب أنه ليس من أهل بيت يعيشون في حبرة إلا سيعقبون بعدها عبرة، وأن الدهر لم يظهر بيوم يحبونه إلا بطن لهم بيوم يكرهونه[1].

سل الأيام ما فعلت بكسرى ... وقيصر والقصور وساكنيها

أما استدعتهم للموت طرًا ... ولا الفقيه منهم والسفيها[2]

خطب عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه فقال: يا أيها الناس إنكم خلقتم لأمر، إن كنتم تصدقون به فإنكم حمقى، وإن كنتم تكذبون به فإنكم هلكى، إنما خلقتكم للأبد ولكنكم من دار إلى دار تنقلون. عباد الله. إنكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص، وعن شرابكم شرق، لا تصفو لكم نعمة تسرون بها إلا بفراق أخرى تكرهون فراقها، فاعلموا لما أنتم صارون إليه

---

1 (?) عدة الصابرين: 326.

2 (?) مكاشفة القلوب: 288.

وخالدون فيه، ثم غلبه البكاء[1].

إن كنت نلت من مع حسن وجهك
فاحذر لنفسك أن تكون ترابا[2]

أخي الحـــــــبيب.. أين نحن من هؤلاء؟!

قـال الحسـن: والـذي نفسي بيـده، لقد أدركت أقوامًا كانت الـدنيا أهـون عليهم من التراب الذي تمشون عليه[3].

رحم الله الحسن.. هذا قوله في زمانه، فمـاذا لو رأى زماننـا، وكيف تكـالب النـاس على الـــدنيا لقد قطعت الأرحـــام، وتباعد الأخـوان، وغـدًا حـديث النـاس عن أمـوال فلان .. وما جمع فلان!!

بل إن هنـاك مجـالس عـامرة بحـديث الـدنيا وأموالها .. لا يـذكر فيها اسم الله ولا يتـــورع فيها عن الغيبة وأكل الســـحت والحرام.

بل سل حـديث المجـالس عن أرحـام

---

1 (?) الإحياء: 3/288.
2 (?) السير: 19/195.
3 (?) تسلية أهل المصائب: 245.

تقطعت ووشـائج انفصـلت بسـبب الـدنيا.. حديث طويـل.. فهـذا لم ير أخـاه منذ عشر ســنوات بســبب حفنة من مــال، وذاك لم يردعه دين أو خـــــــوف من الله عن أكل أمـــوال الأيتـــام وآخر همه مصـــروف كيف يحصل على الأرض الفلانيـــة؟ ولو بالكـــذب والحلف بالزور.

تناسى الجميع حفـرة ضـيقة .. وأهـوالاً مقبلة..!!

قال الحسن -رحمه الله تعالى-: يا عجبًا من ضـاحك ومن ورائه النـار، ومن مسـرور ومن ورائه الموت[1].

أخي .. ألا عودة من قريب..

تمر الليالي كأضغاث أحلام
وأعجب من ذا تجد بنا سيرًا

والسؤال يروح ويغـدو على ألسـنتا.. ألا نعمل لهذه الدنيا؟! بلى يا أخي! اعمل وجد فإن الإسلام دين العمل.. ولكن تنبه لوصـية تالية..

---

[1] (?) تنبيه الغافلين: 1/212.

قال رجل لسفيان الثوري: أوصني؟ قال: اعمل للدنيا بقدر بقائك فيها، وللآخرة بقدر بقائك فيها، والسلام[1].

قارن أخي بين مدة البقاء في هذه الدنيا وبين الخلود في الدار الآخرة.. أعمار -أمة محمد- صلى الله عليه وسلم- ما بين الستين والسبعين.. هذا لمن لم يدركه الموت قبل.. ولكن لنرى يومًا واحدًا من أيام الآخرة كم طوله ﴿**وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ**﴾.

أخي.. ها هي مدة البقاء. قياس بسيط.. اعمل للآخرة.. وللدنيا.. جعلني الله وإياك ممن كان في طاعة الله فبلغه برحمته جنات عدن.. وهيأ لنا من التوفيق ما نصل به إلى رضوانه.

أخي الحبيب:

من أراد من العمال أن يعرف قدره عند السلطان فلينظر ماذا يوليه من العمل وبأي شغل يشغله[2].

---

1 (?) حلية الأولياء: 7/56.
2 (?) الفوائد: 68.

ولننظر أخي إلى مكانتنا من اللـــه، وبمـــاذا استعملنا؟ إن كان في طاعته وعبادته فتلك والله النجاة، وإن كان غير ذلك فالتوبة من قــريب.. ألا نســـتحي من إلهنا وخالقنا ورازقنـــا، من أحسن صورنا، وسخر لنا النعم ظاهرة وباطنة.

يعيش المرء ما **ويبقى العود ما**
فلا والله ما في **ولا الدنيا إذا ذهب**
إذا لم تخش **ولم تستح فاصنع**

قال شداد بن عمرو: إن الآخرة وعد صــادق، يحكم فيها ملك قــادر، وإن الــدنيا عــرض حاضــر، يأكل منها الــبر والفــاجر، وإن الســامع المطيع لا حجة عليــه، وإن الســامع العاصي لا حجة لــه، ولا تعدوا هذه الدنيا شيئًا فإنها لا تبقي على أحــد، ولا ترفضوها مع ذلك فإن الآخرة لا تنال إلا بها.

والمرء ما عاش **إذا انقضى سفر**
لها حلاوة عيش **والصبر**[1]

قــال عبيد بن عمــير يحــذرنا من كــثرة الدنيا وحسـرة إقبالهـا: ما كـثر مـال عبد إلا اشـــتد حســـابه، ولا أكـــثر أتباعه إلا كـــثر

[1] (?) التبصرة: 1/109.

شياطينه، ولا زاد من السـلطان قربًا إلا زاد من الله بعدًا.

ومن هذا الخوف كـان مسـروق يقـول: إنما تحفة المؤمن حفرته.

أخي الحبيب:

جعل الله الـدنيا عرضًـا عـاجلاً ومتـاع غرور، وجعل الآخرة دار جزاء وثواب، وحف الدنيا بالشهوات وزينها بها، كما قال تعـالى: **﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾** [آل عمران: 14].

فـأخبر سـبحانه أن هـذا الـذي زين به الـدنيا من ملاذها وشـهواتها، وما هو غاية أمـاني طلابها ومؤثريها على الآخـرة، هو سبعة أشياء: النساء اللاتي هن أعظم زينتها وشهواتها وأعظمها فتنة، والبنين اللذان بهم

كمال الرجل وفخره وكرمه وعزه، والذهب والفضة اللــذان هما مــادة الشــهوات على اختلاف أجناسها وأنواعها، والخيل المسومة التي هي عز أصحابها وفخرهم، وحصــونهم. وآلة قهـرهم لأعـدائهم في طلبهم وهـربهم، والأنعــام الــتي منها ركــوبهم وطعــامهم ولباسـهم وأثـاثهم، وأمتعتهم وغـير ذلك من مصالحهم، والحـرث الـذي هو مـادة قـوتهم وقوت أنعامهم ودوابهم، وفاكهتهم وأدويتهم وغير ذلك.

ثم أخبر سبحانه أن ذلك متاع كله: متاع الحيــاة الــدنيا، ثم شــوق عبــاده إلى متــاع الآخــرة، وأعلمهم أنه خـير من هـذا المتـاع وأبقى، فقـال: ﴿**قُـلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْـرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَــوْا عِنْــدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِـدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْـــــوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**﴾ [آل عمران: 15].

ثم ذكر سبحانه من يستحق هذا المتاع، ومن هم أهله الـذين هم أولى بـه، فقـال: ﴿

الَّذِينَ يَقُولُــونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آَمَنَّا فَــاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَــــــــــذَابَ النَّارِ * الصَّـــابِرِينَ وَالصَّـــادِقِينَ وَالْقَــانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: 16-17][1].

أخي المســـلم: لنتأمل قـــول عمر بن الخطـــاب رضي الله عنه ويل لمن كـــانت الــدنيا أمله والخطايا عملــه، عظيم بطنتــه، قليل فطنته، عـالم بـأمر دنيـاه، جاهل بـأمر آخرته[2].

وكتب عمر إلى أبي موســـــى: إنك لن تنـال عمل الآخـرة بشـيء أفضل من الزهد في الدنيا.

أخي:

دع الحرص على ... وفي العيش فلا
فلا تجمع من ... فما تدري لمن
فإن الرزق ... وسوء الظن لا
فقير كل ذي ... يقنع[3]

---

1 (?) عدة الصابرين: 209.
2 (?) العاقبة: 90.
3 (?) بستان العارفين: 15.

روي عن أبي حـازم أنه قـال: لو كـانت الدنيا لا يـدخلها أحد إلا بـترك جميع ما يحب من الـدنيا لكـان يسـيرًا في جانبهـا، فكيف وقد تـدخل الجنة بـترك جـزء من ألف جـزء مما تحب، وقد تنجو من النــار بتحمل جــزء من ألف جزء مما تكره[1].

أخي الحـبيب: درر من الحكم تنـثر.. ولكن تبقى الهمة العاليـــة.. والمســـارعة المستمرة. ويبقى دومًا تذكر يوم المعاد.

قال الفضيل بن عيـاض: رهبة العبد من الله على قـــدر علمه باللــه، وزهادته في الدنيا على قدر رغبته في الآخرة[2].

قد نادت الدنيا لو كان في العالم
كمْ واثق بالعمر يجمع[3]

ولنتأمل في قـــول الحسن -رضي الله عنـه-: إن أيسر النـاس حسـابًا يـوم القيامة الــذين حاســبوا أنفســهم لله في الــدنيا، فوقفوا عند همـومهم وأعمـالهم؛ فـإن كـان

---

1 (?) تنبيه الغافلين: 1/85.
2 (?) السير: 8/426.
3 (?) عقود اللؤلؤ والمرجان: 285.

الـذي همـوا به للـه، مضـوا فيـه، وإن كـان عليها أمســكوا، وإنما يثقل الحســاب يــوم القيامة على الذين جازفوا الأمور في الدنيا، أخذوها على غير محاسـبة، فوجـدوا الله قد أحصى عليهم مثاقيل الـــذر، ثم قـــرأ: ﴿**يَا وَيْلَتَنَا مَــالِ هَــذَا الْكِتَــابِ لَا يُغَــادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَـدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾ [الكهف: 49].

ومن تأمل في مزرعة الـــــــدنيا ووقت الحصـــاد رأى أن الأمر جد لا هـــزل فيـــه، وتشمير لا هـوادة فيـه. فمن قـدم بين يديه اليوم رآه غدًا في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.. يوم تـذهل فيه كل مرضـعة عما أرضعت.. وتضع كل ذات حمل حملها.. يـوم تتطاير فيه الصحف.

قــال ســلمان بن دينــار: ما أحببت أن يكــون معك في الآخــرة فقدمه اليــوم. وما كــرهت أن يكــون معك في الآخــرة فاتركه

اليوم[1].

فهذه الدنيا دار العمل، وغدًا هنـاك حين تغيب شمس الـدنيا، ويشـرق يـوم القيامـة، هناك دار الحساب والجزاء، فعلينا أن نجزم الأمر ونعد العدة.

أخي الحبيب: هذا يحيى بن معـاذ في وصـــيته يقـــول: الليل طويل فلا تقصـــره بمنامك، والنهار نقي فلا تدنسه بآثامك:

وكن في الدنيا عابر سبيل نـرى الرحيل أسرع من البقاء والنقلة أسرع من المهلة.

قـــــال شـــــميط بن عجلان: من جعل الموت نصب عينيه لم يبال بضيق الـدنيا ولا بسعتها[2].

يا غافلاً وله في ... فالدهر يقظان[3]

قـــال محمد بن ســـوقة: أمـــران لو لم نعذب إلا بهما لكنا مستحقين بهما العـــذاب، أحدنا يزداد في دنياه فيفـرح فرحًـا، ما علم الله منه قط أنه فـــرح بشـــيء قط زيد في

---

1 (?) صفة الصفوة: 2/166.
2 (?) صفة الصفوة: 3/342.
3 (?) موارد الظمآن: 2/710.

دينه مثلـه، وأحـدنا ينقص من دنيـاه فيحـزن حزنًا ما علم الله منه قط أنه حــــزن على شيء نقصه من دينه مثله[1].

وحالنا اليــوم هم وغم وتكــدر عيش إذا غلبنا في دريهمات أو نقص من مالنا شــيء يســير.. ولا نغتم ولا نحــزن بفــوت صــلاة الجماعة عنــــا؛ بل الأمر لا يعــــدو تحريك الرءوس ونسيان الأمر.

قــــال محمد بن واســـع: إذا رأيت في الجنة رجلاً يبكي ألست تعجب من بكائـــه؟ قيل: بلى، قال: فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري إلى ماذا يصير هو أعجب منه!![2].

وحــال الكثـير اليــوم ينطبق عليه قــول ســعيد بن مســعود: إذا رأيت العبد تــزداد دنيـــاه وتنقص آخرته وهو به راض، فـــذلك المغبون الذي يلعب بوجهه وهو لا يشعر[3].

أخي الحبيب:

تزود من الدنيا **إذا جن ليل هل**

---

1 (?) حلية الأولياء: 5/4.

2 (?) الإحياء: 3/137.

3 (?) مكاشفة القلوب: 157.

فكم من فتى وقد نسجت أكفانه
وكم من صغار وقد أدخلت
وكم من عروس وقد قبضت

ها هي الدنيا دار أماني وغرور فاحذرها، فإن أمانيها كاذبة، وإن آمالها باطلة، عيشها نكد، وصـوفها كـدر، وأنت منها على خطـر، إما نعمة زائلة وإما بلية نازلـة، وإما مصـيبة موجعة، وإما ميتة قاضية[1].

وقد أصــاب أبو هريــرة في وصف حالنا بقوله: ما صـدقتكم أنفسـكم؛ تـأملون ما لا تبلغون، وتجمعـون ما لا تـأكلون، وتبنـون ما لا تسكنون.

وحــال الكثــير اليــوم: جمع ما لا يأكــل، وبـني ما لا يسـكن.. وحـتى إن أكل وسـكن سنوات معدودة وأزمنة محدودة.

قـــال أبو حـــازم: إن عوفينا من شر ما أعطينا؛ لم يضرنا فقد ما زوي عنا[2].

هي القناعة لا فيها النعيم وفيها
انظر لمن ملك القطن والكفن[3]

---

1 (?) حلية الأولياء: 2/136.
2 (?) أدب الدنيا والدين: 121.

قـال أبو محـرز الطفـاوي: شـكوت إلى جارية لنا ضـــيق الكسب عليَّ وأنا شـــاب، فقـالت لي: يا بـني اسـتعن بعز القناعة عن ذل المطـالب. فكثـيرًا ما رأيت القليل عـاد سليمًا، قال أبو محرز: ما زلت أعـرف بركة كلامها في قنوعي.

أخي الحبيب:

كل من لاقيت **الدنيا لمن؟!**[1]

هل رأيت أخي غـــــير ذلـــــك؟! ولكن القناعـــة: مكسب وعـــز، والنفس خـــير مركب..

وقد قـــال شـــعيب بن حـــرب: من أراد الـــدنيا فليتهيأ للـــذل، ومن تهيأ للـــذل، أطلق عنانه، ولم يمسك بلجامـه.. يتسـاوى لديـه: الحلال والحرام، والرد والصد.. يجـري خلف المادة، ويلهث وراء الدنيا.. وكان أبو حازم يـرى هذا الجري وذاك اللهث، فقال: لوددت أن أحدكم يتقي على دينه، كما يتقي على نعله.

يا غاديًا في غفلة **إلى متى**

---

[3] (?) التذكرة: 11.

[1] (?) موارد الظمآن: 2/71.

وكم إلى كمٍ لا يستنطق الله به
واعجبًا منك وأنت كيف تجنبت
وكيف ترضى أن يومٍ يفوز من كان

أخي الحبيب:

إن رب الأرباب ومسبب الأسـباب جعل الآخـرة: دار الثـواب والعقـاب، والـدنيا: دار التحمل والاضطراب والتشـمر والاكتسـاب، وليس التشـمر في الـدنيا مقصـورًا على المعاد دون المعاش، بل المعاش ذريعة إلى المعاد ومعين عليـه، فالـدنيا مزرعة الآخـرة ومدرجة إليها[1].

قـال يحـيى بن معـاذ: يا ابن آدم طلبت الـدنيا طلب من لا بد له منهـا، وطلبت الآخـرة طلب من لا حاجة له بهـا، والـدنيا -أخي- قد كفيتها وإن لم تطلبهـا، والآخـرة بالطلب منك تنالها، فاعقل شأنك[2].

وقد فصل رحمه الله في طلب الـدنيا وتركهـا، فقـال: تـرك الـدنيا شـديد، وتـرك

---

1 (?) الإحياء: 2/69.
2 (?) صفة الصفوة: 4/93.

الجنة أشد منهـــــا، وإن مهر الجنة تـــــرك الدنيا[1].

فهل قدمنا -أخي- هذا المهـر؟! بل نحن لاهون ساهون في هـذه الـدنيا؛ ونحن نعلم أن وراء كل فـــرح حزنًـــا، ووراء كل نعيم كدرًا.

قـــال عبد الله بن مســعود -رضي الله عنه-: لكل فرحة ترحـة، وما ملئ بيت فرحًا إلا ملئ ترحًا[2].

وكان مسعر بن كدام يكثر أن يتمثل بهــذه الأبيات في جنازة:

ويحدث روعات ونسرع نسيانًا ولم
فإنا ولا كفران لله البدن[3]

قال بعض السلف: ابن آدم، أنت محتاج إلى نصيبك من الدنيا، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج، فإن بدأت بنصـيبك من الـدنيا أضعت نصيبك من الآخرة وكنت من نصـيب الـدنيا على خطـر، وإن بـدأت بنصـيبك من

---

1 (?) تنبيه الغافلين: 1/85.
2 (?) تسلية أهل المصائب: 15.
3 (?) حلية الأولياء: 7/221.

الآخرة، فـزت بنصـيبك من الـدنيا فانتظمته انتظامًا[1].

وكيف يلذ العيش بأن إله الخلق لا
فيأخذ منه ظلمة الذي هو فاعله[2]

وكتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيــز: أما بعــد: فــإن الــدنيا: دار ظعن، وليست بــدار إقامــة، وإنما أنــزل آدم إليها عقوبــة، فاحــذرها يا أمــير المؤمــنين، فــإن الزاد منها تركها والغنى منها فقرها، لها في كل حين قتيـل، تـذل من أعزّهـا، وتفقر من جمعهــا، هي كالسم يأكله من لا يعرفه وهو حتفه، فكن كالمداوي جراحته، يحتمي قليلاً، مخافة ما يكـره طـويلاً، ويصـبر على شـدة الدواء، مخافة طول البلاء، فاحذر هذه الدار الغـــرارة، الحيالة الخداعـــة، الـــتي زينت بخــدعها وفتنت بغرورهــا، وختلت بآمالهــا، وتشــرفت لخطابهــا، فأصــبحت كــالروس المجليــة، فــالعيون إليها نــاظرة، والقلــوب عليها والهــة، والنفــوس لها عاشــقة، وهي

---

1 (?) فضائل الذكر: لابن الجوزي، 19.
2 (?) شرح الصدور: 295.

لأزواجها كلهم قاتلــة، فلا البــاقي بالماضي معتـــبر، ولا الآخر على الأول مزدجـــر، ولا العــارف بالله - عز وجل - حين أخــبر عنها مــدكر، فعاشق لها قد ظفر منها بحاجتــه، فاغتبر، وطغى، ونسي المعـاد، فشـغل فيها لبه حتى زالت عنها قدمه، فعظمت ندامته، وكثرت حسرته، فخرج بغير زاد، وقدم على غير مهاد، فاحذرها يا أمـير المؤمـنين، وكن أسر ما تكون فيها؛ احذر ما تكون لهـا، فـإن صاحب الدنيا كلما اطمـأن منها إلى سـرور، أشخصه إلى مكروه، وقد وصل الرخاء منها بــــالبلاء، وجعل البقـــاء فيها إلى فنــــاء، فسرورها مشـوب بـالحزن، لا يرجع منها ما ولى فــأدبر، ولا يــدرى ما هو آت فينتظــر، أمانيها كاذبة، وآمالها باطلة، وصـفوها كـدر، وعيشــها نكــد، وابن آدم فيها على خطــر، ولقد عرضت على نبيك محمد ﷺ بمفاتيحها وخزائنها، فأبى أن يقبلهـا، كـره أن يحب ما أبغض خالقـــه، أو يرفع ما وضع مليكـــه، فزواها عن الصــالحين اختبــارًا، وبســطها لأعدائه اغـترارًا، وجـاءت الرواية أنه تبـارك

وتعالى قال لموسى عليه السلام: «**إذا رأيت الغنى مقبلاً فقل: ذنب عجلت عقوبته، وإذا رأيت الفقر مقبلاً فقل: مرحبًا بشعار الصالحين**»[1].

أخي الحبيب:

لو كنت رائد قوم **دنياك هذي لما**

لقلت تلك بلاء **سم للفتى ذابا**[2]

أخي: والدنيا تطوي من أمامك.. وشمس الآخرة تقيل عليك.. ماذا حالك؟!

وكيف ترى الأمر؟!

لنرى حال سلمان رضي الله عنه عندما احتضر فبكى، قيل له: ما يبكيك؟ وأنت صاحب رسول الله ﷺ قال: ما أبكي أسفًا على الدنيا، ولا رغبة فيها، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا عهدًا، فتركنا ما عهد إلينا، أن تكون بلغة أحدنا كزاد الراكب، ثم نظر فيما ترك، فإذا قيمة ما ترك بضع وعشرون درهمًا أو بضع وثلاثون درهمًا[3].

---

1 (?) عدة الصابرين: 331.

2 (?) موارد الظمآن: 1/ 640.

3 (?) أدب الدنيا والدين: 119.

الدنيا سراب ممتد وليل مظلم.. طـالب الـدنيا كشـارب مـاء البحر كلما ازداد شـربًا ازداد عطشًا[1].

فإنه لا حد لها ولا منتهى إلا بالقناعة والزهد والرضى بما قسم الله.. والاستفادة من مرور الليالي والأيام في طاعة الله جل وعلا.

قال مالك بن دينار: خرج أهل الدنيا من الدنيا، ولم يذوقوا أطيب شيء فيهـا. قيـل: وما هو؟ قال: معرفة الله تعالى[2].

وانظر -أخي الحـبيب- في حـال المحتضـرين من الصـــالحين تـــرى الهـــدوء والســـكينة على النفوس المطمئنة، وترى غـير ذلك على أصـحاب الحرام، اللاهثين وراء الحطام وزخرف الدنيا.

العبد ذو ضجر والدهر ذو دول
والخير أجمع فيما وفي اختيار سواه

قـال أبو الـدرداء: لـولا ثلاث لأحببت أن أكون في بطن الأرض لا على ظهرهـا: لـولا إخــوة يــأتوني ينتقــون أطــايب الكلام كما

---

1 (?) السير: 5/263.

2 (?) مدارج السالكين: 2/233.

ينتقى طيب الثمــر، أو أعفر وجهي ســاجدًا لله -عز وجل- أو غـدوة أو روحة في سـبيل الله -عز وجل-[1].

هــذه الرغبة الصــادقة فيما عند الله .. وهـذه هي الاسـتفادة الكاملة من الأوقـات وتلك والله الأمنيات الخيرة.

قـال وهيب بن الـورد: الزهد في الـدنيا أن لا تأسى على الناس على ما فاتك منهـا، ولا تفرح بما آتاك منها[2].

أخي الحبيب:

إنما الـدنيا إذا فكـرت فيهـا: ثلاثة أيـام، يـوم مضى لا ترجـوه، ويـوم أنت فيه ينبغي لك أن تغتنمه، ويوم يـأتي لا تـدري أنت من أهله أم لا، ولا تــدري لعلك تمــوت قبلــه، وليكن سعيك في دنياك لآخرتـك، فإنه ليس لك من دنياك شـيء إلا ما صـدرت أمامـك، فلا تدخرن عن نفسك مالك، ولا تتبع نفسك ما قد علمت أنك تاركه خلفـك، ولكن تـزود

---

1 (?) الزهد: 198.

2 (?) حلية الأولياء: 8/140.

لبعد المشقة[1].

وليكن طلبك الدنيا اضـطرارًا، وتـذكرك في الأمور اعتبارًا، وسعيك لمعادك ابتــدارًا، فاعمل عمل المرتحل، فـإن حـادي المـوت يحدوك ليوم ليس يعدوك[2].

قــال الحسن -رحمه اللــه-: إيــاكم وما شغل من الدنيا، فإن الدنيا كثيرة الأشــغال، لا يفتح رجل على نفسه بــــاب شـــغل إلا أوشك ذلك البـــاب أن يفتح عليه عشـــرة أبواب[3].

صــاحب الــدنيا الــذي يعظمه البعض -حـتى وإن كـان تاركًا للصـلاة ويوسع له في المجلس لننظر إلى الحسن رحمه اللـــــه- كـان إذا ذكر صـاحب الـدنيا يقـول: والله ما بقيت له ولا بقي لها، ولا سلم من شرها ولا تبعتها ولا حســـابها، ولقد أخـــرج منها في خرق[4].

---

1 (?) حلية الأولياء: 2/138.
2 (?) أدب الدنيا والدين: 122.
3 (?) حلية الأولياء: 2/153.
4 (?) حلية الأولياء: 2/144.

وكتب علي بن أبي طـــالب إلى عبد الله بن عبـاس: أما بعد فـإن المـرء يسـوءه فـوت ما لم يكن يدركـــه، ويســـره درك ما لم يكن ليفوتـــه، فليكن سـرورك بما قلت من أمر آخرتـك، وليكن أسفك على ما فاتك منها، وما نلت من دنيـاك فلا تكثرن به فرحًا، وليكن همك فيما بعد الموت.

أرى طالب الدنيا ... ونال من الدنيا
كيانٍ بنى بنيانه ... قد بناه تهدما[1]

أخي الحـــبيب: يقـــال: غم الأحيـــاء خمسة أشـــياء، ينبغي للإنســـان أن يكـــون **غمه في هذه الخمسة:**

أولهـا: غم الـذنوب الماضـية، لأنه قد أذنب ذنبًـا، ولم يتـبين له العفـو، فينبغي أن يكون مغمومًا بها مشغولاً بها.

الثـاني: أنه قد عمل الحســنات، ولم يتبين له القبول.

الثالث: قد علم حياته فيما مضى كيف مضت؟ ولا يدري كيف يكون الباقي.

الرابــع: قد علم أن لله تعــالى دارين،

---

1 (?) إرشاد العباد: 120.

ولا يدري إلى أية دار به يصير.

الخامس: لا يدري أن الله تعالى راض عنه أم ساخط عليه.

فمن كان غمه في هذه الأشياء الخمسة في حياته فإنه يمنعه من الضحك[1].

قال إبراهيم التيمي: كم بينكم وبين القوم؟ أقبلت عليهم الدنيا فهربوا. وأدبرت عنكم فاتبعتوها[2][3].

كأنك لم تسمع ... ولم تر في الباقين

فإن كنت لا تدري ... محاها مجال الريح

على ذاك مروا ... يمرون حتى

فحتى متى لا ... وحتى متى لا ينجاب

بل سوف تصحو ... وتذكر قولي حين

قام أبو ذر الغفاري: عند الكعبة فقال: يا أيها الناس أنا جندب الغفاري، هلموا إلى الأخ الناصح الشفيق، فاكتنفه الناس، فقال: أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفرًا أليس يتخذ

---

1 (?) تنبيه الغافلين: 1/213.
2 (?) صفة الصفوة: 3/90.
3 (?) السير: 5/61.

من الــزاد ما يصــلحه ويبلغــه؟ قــالوا: بلى، قال: فإن ســفر طريق يــوم القيامة أبعد ما تريــدون، فخــذوا ما يصــلحكم، قــالوا: وما يصلحنا؟ قـال: حجـوا حجة لعظـائم الأمـور، وصوموا يومًا شـديدًا حـره لطـول النشـور، وصـــلوا ركعـــتين في ســـواد الليل لوحشة القبــــور، كلمة خـــــير تقولها أو كلمة شر تســكت عنها لوقــوف يــوم عظيم، تصــدق بمالك لعلك تنجو من عسيرها، اجعل الــدنيا مجلســــين، مجلسًــــا في طلب الحلال، ومجلسًا في طلب الآخـرة، الثـالث: يضـرك ولا ينفعك لا تــرده. اجعل المـــال درهمين: درهمًا تنفقه على عيالك من حلـــه، ودرهما تقدمه لآخرتك.

أخي المسلم:

انظر إلى من هل راح منها بغير

ها هو الحسن البصري: في تباين واضح بين حالنا وحـــالهم.. يقـــول: أدركت أقوامًا وصحبت طوائف، ما كانوا يفرحــون بشــيء من الدنيا أقبل، ولا يقبلون على شــيء منها

أدبـــر، ولهي كـــانت في أعينهم أهـــون من التراب، كان أحدهم يعيش خمسين سـنة أو سـتين سـنة لم يطو له ثـوب ولم ينصب له قـدر، ولم يجعل بينه وبين الأرض شـيئًا، ولا أمر من في بيته بصـنعة طعـام قـط. فـإذا كـان الليل فقيـام على أقـدامهم يفترشـون وجـوههم، تجـري دمـوعهم على خـدودهم، ينجـاون ربهم في فكـاك رقـابهم، كـانوا إذا عملوا الحسنة دأبوا في شكرها وسألوا الله أن يقبلهـا، وإذا عملـوا السـيئة أحـزنتهم وسأله الله أن يغفرها لهم، فلم يزالـوا على ذلك. والله ما سـلموا من الـذنوب ولا نجـوا من الذنوب إلا بـالمغفرة -رحمة الله عليهم ورضوانه-[1].

أخي الحبيب.. أين نحن من هؤلاء؟!

تصل الذنوب إلى الذنوب **درج الجنان بها**

ونسيت أن الله **منها إلى الدنيا**

ونحن -أخي- نبحث عن المتع والملـــذات.. نبتعد عن المكـــدرات

[1] (?) الإحياء: 4/239.

والمنغصات.

هذه حالنا أما حال أبي الدرداء فهي كما قال: أحب الفقر تواضعًا لربي -عز وجل- وأحب الموت اشتياقًا إلى ربي -عز وجل- وأحب المرض تكفيرًا لخطاياي[1].

للناس حرص على الدنيا بتدبير وصفوها لك ممزوج بتكدير
لم يرزقوها بعقل حينما رزقوا لكنهم رزقوها بالمقادير
كم من أديب لبيب لا تساعده وأحمق نال دنياه بتقصير
لو كان عن قوة أو عن مغالبة طار البزاة بأرزاق العصافير[2]

والدنيا وإن كانت دنيئة حقيرة.. إلا أنها ممر إلى الدار الآخرة ومعبر إلى إحدى المنزلتين. جنة أو نار.. ولنرى أحد تلك الممرات التي تؤدي إلى الجنة.. وهي من أعمال الدنيا.

قال ﷺ: «**حوسب رجل ممن كان قبلكم، فلم يوجد له من الخير شيء، إلا أنه كان يخالط الناس، وكان موسرًا، فكان يأمر غلمانه أن**

---

1 (?) الزهد: 217.

2 (?) تاريخ الخلفاء: 171.

يتجاوزوا عن المعسر، قـال الله -عز وجل- نحن أحق بـذلك منـه، تجـاوزوا عنه» رواه البخاري ومسلم واللفظ له.

يقـول الإمـام الشـافعي: أشد الأعمـال ثلاثـة: الجـود من قلـة، والـورع في خلـوة، وكلمة الحق عند من يرجى ويخاف[1].

وقال الحسن: غدًا كل امرئ فيما يهمه، ومن هم بشيء أكثر من ذكره، إنه لا عاجلة لمن لا آخرة له، ومن آثر الدنيا على الآخرة فلا دنيا له ولا آخرة[2].

أخي الحـبيب: وأنت تسـير في هـذه الدنيا.. هناك يوم سيتوقف بك المسير وتحط بك القافلة ولكن:

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ... ولاقيت من بعد الموت من قد تزودا

ندمت على أن لا تكون كمثله ... وأنك لم ترصد كما كان أرصدا[3]

أخي الحـبيب: أين نحن من هؤلاء؟!

عن حفص الجعفي قـال: ورث داود

1 (?) صفة الصفوة: 2/251.

2 (?) حلية الأولياء: 2/144.

3 (?) عقود اللؤلؤ: 31.

الطـــــــائي من أمه أربعمائة درهم، فمكث يتقــوت بها ثلاثين عامــا، فلما نفــدت جعل ينقض سقوف الدويرة يبيعها[1].

وقال عمر بن أيـوب: قـال أبو الشـعثاء (جابر بن زيد): يا عمــر، ما أملك من الــدنيا إلا حمارًا[2].

سهل عليه الحساب وخف به المســير.. ونحن ماذا نملك.. وماذا نأمل؟!

أخي المسلم:

عجبًا لمن يعرف أن المــوت حــق، كيف يفــرح؟ وعجبًا لمن يعــرف أن النــار حــق، كيف يضـحك؟ وعجبًا لمن رأى تقلب الــدنيا بأهلها، كيف يطمئن إليهــا؟ وعجبًا لمن يعلم أن القدر حق، كيف ينصب؟[3].

رأيت الدهر **فلا حزن يدوم ولا**
وقد بنت الملوك **ولا القصور[4]**

ونحن في هذه الدنيا لاهون ساهون هذا

---

1 (?) السير: 7/424.
2 (?) حلية الأولياء: 3/89.
3 (?) الإحياء: 3/224.
4 (?) ديوان الإمام علي: 100.

صوت ينادي.. صوت بلال بن سعد يقـول: يا أهل التقى إنكم لم تخلقـــوا للفنـــاء، وإنما تنقلـــــــون من دار إلى دار، كما نقلتم من الأصــلاب إلى الأرحــام، ومن الأرحــام إلى الـدنيا ومن الـدنيا إلى القبـور، ومن القبـور إلى الموقف، ومن الموقف إلى الخلود في جنة أو نار[1].

مراحل متتابعة.. وأزمنة متتاليـة، قطعنا منها مراحل عـــــدة.. من الأصـــــلاب إلى الأرحـام ومن الأرحـام إلى الـدنيا.. ها نحن نســــير عليهــــا، ننتظر النقلة التالية إلى القبـــــور.. ووالله نحن في غفلة وإلا كيف تحلو الحياة، ويطيب العيش، ووراءنا القبور والموقف.. ثم الخلود.. أهوال وأهوال.

قـــال أبو بكر المــــروذي: دخلت على أحمد بن حنبل يومًا فقلت: كيف أصــبحت؟ فقـــال: كيف أصـــبح من ربه يطالبه بـــأداء الفرض، ونبيه يطالبه بأداء السنة، والملكان يطالبانه بتصـــحيح العمـــل، ونفسه تطالبه

---

[1] (?) السير: 5/91.

بهواهـــا، وإبليس يطالبه بالفحشـــاء، وملك المـــــوت يطالبه بقبض روحـــــه، وعياله يطالبونه بالنفقة[1].

هـذه الـدنيا الـتي نحن نتكـالب عليهـا.. ونتقاتل عليهـا.. لننظر الوجه المشـرق لمن عرف قيمة الوقت في هذه الدنيا ..

يحدثنا أبو ضمرة عن صفوان بن سـليم فيقـول: رأيته ولو قيل له السـاعة غـدًا، ما كان عنده مزيد عمل[2].

أرى حللاً تصان وأعراضًا تنال ولا
يقولون الزمان فسد الزمان[3]

قـــال بعض الســـلف: من ادعى بغض الدنيا فهو عندي كذاب إلى أن يثبت صدقه، فإذا ثبت صدقه، فهو مجنون[4].

لأن هـذه الـدنيا مزرعة الآخـرة.. يـتزود فيها بالطاعات والصالحات. وهو أحد رجلين طـالب دنيـا، فكيف يبغضـها وهو يسـير في

---

1 (?) مناقب الإمام أحمد: 355.
2 (?) تذكرة الحفاظ: 1/134.
3 (?) الزهد: للبيهقي، 157.
4 (?) صيد الخاطر: 212.

ركبهـا، ورجل آخر يطلب الآخـرة، فـأنى له أن يبغض زمن الزرع ووقت العمل؟!

قال بعض الحكمـاء: كيف يفـرح بالـدنيا من يومه يهدم شهره، وشهره يهـدم سـنته، وسنته تهدم عمـره، كيف يفـرح من يقـوده عمره إلى أجله، وتقوده حياته إلى موته[1].

وقـال الفضـيل بن عيـاض: العجب كل العجب لمن عـــرف الله ثم عصـــاه بعد المعرفة[2].

أهون بداركم	**واضرب بها**
الله يعلم أني	**ولا أريد بقاء**
لكن تمرغت في	**وبت أنشرها حينًا**
أيام أسحب ذيلي	**جعلاً وأهدمُ من**
وكم تحملت فيها	**من شامخات**
فقلت أبقي لعلي	**بنيت منها**
من ورائي عقاب	**حتى أخفف**
يا ويلتي وبحار	**برش في تثنيها[3]**

إخــــواني: تفكـــــروا ما في الحشر

---

[1] (?) جامع العلوم والحكم: 381.

[2] (?) الزهر الفائح: 95.

[3] (?) العاقبة: 30.

والميعــاد، ودعــوا طــول النــوم والرقــاد، وتفقدوا أعمالكم، فالمناقش ذو انتقــام، إن في القيامة لحســرات، وإن عند المــيزان لزفــــــــرات، فريق في الجنة وفريق في الســعير، ففريق يرتقــون إلى الــدرجات، وفريق يهبطـــون إلى الـــدركات، وما بينك وبين هذا الأمر إلا أن يقال فلان قد مات، يا من كان له قلب فمات، يا من كان له وقت ففات، أشـرف الأشـياء قلبك ووقتـك، فـإن أنت ضــيعت وقتــك، وأهملت قلبــك، فقد ذهب منك الفوائـــد، إن كنت تبكي على ما فــات، فابك على فرقتــك، وإن كنت تبكي على ما مات، فابك على قلبك[1].

ونحن -أخي الحــبيب- في هــذه الــدنيا على قـــدم وســـاق ســـائرون، ولا يـــأمن مضــيعون، نفــوت أوقاتنــا، ونضــيع أيامنــا.. ونلهث في ســير حــثيث وراء حطــام الــدنيا كأنها تفوت..

قيل لحاتم الأصم: على ما بـنيت أمـرك

---

1 (?) الزهر الفائح: 414.

في التوكل؟

قال: على خصال أربع: علمت أن رزقي لا يأكله غيري، فأطمأنت به نفسي، وعلمت أن عملي لا يعمله غيري، فأنا مشـغول بــه، وعلمت أن المـوت يـأتي بغتـة، فأنا أبـادره، وعلمت أني لا أخلو من عين الله فأنا مستحي منه[1].

إن إلهي لغني في كل يوم منه
الحمد لله الذي لم مما أريد[2]

أخي المسلم:

همة المــؤمن متعلقة بــالآخرة، فكل ما في الدنيا يحركه إلى ذكر الآخـــرة، وكل من شـغله شـيء فهمته شـغله، ألا تـرى أنه لو دخل أرباب الصنائع إلى دار معمـورة، رأيت الــبزاز ينظر إلى الفــرش، ويحــرز قيمتــه. والنجار إلى السقف، والبنـاء إلى الحيطـان، والحائك إلى النسيج المخيـط، والمـؤمن إذا رأى ظلمـــة، ذكر ظلمة القـــبر، وإذا رأى

1 (?) السير: 11/485، وفيات الأعيان: 2/27.
2 (?) صفة الصفوة: 4/52.

مؤلمًا، ذكر العقاب، وإن سمع صوتًا فظيعًا، ذكر نفخة الصــور، وإن رأى النــاس نيامًــا، ذكر الموتى في القبـور، وإن رأى لـذة، ذكر الجنة فهمته متعلقة بما ثم، وذلك يشـــــغله عن كل ما تم[1].

ولا خير في الدنيا من الله في دار
فإن تعجب الدنيا متاع قليل

قـال عبد الله بن مسـعود: في درر من الكلام: إنكم في ممر الليل والنهـــــار، في آجال منقوصة وأعمـال محفوظـة، والمـوت يـأتي بغتـة، من زرع خـيرًا يوشك أن يحصد رغبـــــة، ومن زرع شـــــرًا يوشك أن يحصد ندامـــة، ولكل زارع مثل ما زرع، لا يســـبق بطيء بحظه، ولا يدرك حـريص ما لم يقـدر لــه، فمن أعطي خــيرًا فالله أعطــاه، ومن وقي شــرًا فالله وقــاه، المتقــون الســادة، والفقهاء قادة ومجالستهم زيادة[2].

وقيل لعلي -رضي الله عنه -: يا أبا

---

1 (?) صيد الخاطر: 521.
2 (?) السير: 1/497.

الحسن صف لنا الــــدنيا؟ قــــال: أطيل أم أقصــــر؟ قـــالوا: بل أقصـــر، قـــال: حلالها حساب، وحرامها النار[1].

كلمـات تغـني عن مواعظ لمن كـان له قلب. ألا وإن الدنيا دار ابتلاء وحــزن ونصب وشقاء.

قـــال ســـيار أبو الحكم: الفــرح بالـــدنيا والحزن بالآخرة لا يجتمعـان في قلب عبـد، إذا سكن أحدهما القلب فر الآخر[2].

أخي الحبيب:

حاسب زمانك في تجده أعطاك
نفسي التي تملك شيء إذا ذهبا؟![3]

حال أبي الدرداء في الجاهلية والإسـلام يرويها بنفسه فيقـــــول: كنت تـــــاجرًا في الجاهلية، فلما جاء الإسـلام أخـذت التجـارة والعبـــــادة، فلم يجتمعا لي، فــــأقبلت على العبادة، وتركت التجارة.

ولا شك أنه -رضي الله عنه - ضـــــحى

---

1 (?) تسلية أهل المصائب: 243.
2 (?) صفة الصفوة: 3/13.
3 (?) موارد الظمآن: 2/77.

بـــدنيا فانية وأعــوام قليلة لينعم برحمة الله في دار كرامته.

وليس معنى ذلك تــرك العمل وتحصـيل المعـاش وبـذل الأسـباب ولكن لا يكن الهم الأول جمع الـــــدنيا واللهث ورائهـــــا.. وإلا فالإسـلام يحث على العمــل، ويعتــبره نــوع من أنـــواع الجهــــاد، إذا خلصت النيـــــة، واســـتوفى الشـــروط الأخـــرى من أمانة وإخلاص وغيرهما.

قال عبد الله بن مسعود: من أراد الدنيا أضر بـالآخرة، ومن أراد الآخـرة أضر بالـدنيا، يا قــوم، فأضروا بالفاني للباقي.

لا تأسف على الدنيا وما فيها فالموت لا شك يفنينا ويفنيها
واعمل لدار البقاء رضوان خازنها والجبار بانيها[1]

نصيب الدنيا في حياتنا كبيرة وتعلقنا بها شـــديد.. لا نتحـــدث إلا فيها ولا نغتم إلا من أجلهــــــا.. بل ربما العلاقـــــات الاجتماعية أصـبحت المـادة أساسًـا لهـا.. ولقد هـالني يومًا ما رأيته من قلة زائـــري أحد جيراننا - وكان مسئولاً كبـيرًا فالبـاب مفتـوح كما هو

---

1 (?) الزهر الفائح: 79.

والجار جالس في صدر المجلس في وسط حديقة غناء بعد صـلاة العشـاء ولم أر حركة ولا زوارًا.. فإذا به تلك الليلة أحيل للتقاعـد. زوار الأمس هم زوار الـــــــــدنيا وأهل الكراســــي.. أما زوار الآخــــرة والمحبة الصــادقة فــإنهم لا يتجــاوزون نصف عــدد أصابع اليد الواحدة.

هــذه هي النظــرة الماديــة.. والمــرض الاجتماعي .. ولو تحدث أحـدهم لـذم الـدنيا والتكالب عليهـا، ولكن ظهر منه حب الـدنيا والقــرب من المســئولين دون أن يشــعر ودون أن يعلم..

يحكى أن حســـان بن أبي ســـنان مر بغرفة فقال: متى بنيت هذه؟ ثم أقبل على نفسه فقـــال: تســـألين عما لا يعنيـــك؟ لأعاقبنك بصوم سنة، فصامها.

كم سنصـــوم من الســنين لو حســبنا حسابه وسلكنا طريقه..!

قــال تعــالى: ﴿**وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْـكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ**﴾ [طه: 131].

وقد ارتاح من أفرغ قلبه من هم الـدنيا، وأقبل على الله، واستعد ليوم الرحيل.. هذا حماد بن سلمة لو قيل لـه: إنك تمـوت غـدًا ما قدر أن يزيد في العمل شيئًا[1].

أخي المسلم:

من تأمل بعين الفكـر: داوم البقـاء في الجنة، في صفاء بلا كدر، ولذات بلا انقطاع، وبلوغ كل مطلـوب للنفس والزيـادة، مما لا عين رأت، ولا أذن سـمعت، ولا خطر على قلب بشـر، من غـير تغيـير ولا زوال، إذ لا يقال: ألف ألف سنة، ولا مائة ألف ألف، بل ولو أن الإنسان عد الألوف ألوف السـنين لا ينقضي عدده، وكان له نهاية. فبقـاء الآخـرة لا نفاد له، إلا أنه لا يحصل ذلك إلا بنقد هـذا العمـر، وما مقـدار عمر غايته مائة سـنة، منها خمسة عشـرة صـبوة وجهـل، وثلاثـون بعد السـبعين إن حصـلت ضـعف وعجـز، والتوسط نصـفه نـوم، وبعضه زمـان أكل وشـرب وكسـب، والمنتحل منه للعبـادات

---

1 (?) تذكرة الحفاظ: 1/203.

يسير، أفلا يشتري ذلك الدائم بهـذا القليـل، إن الإعـراض عن المشـروع في هـذا الـبيع والشراء لغبن فاحش في العقل، وخلل في الإيمان بالوعد[1].

ولولا ثلاث هن وربك لم أحفل
سياحة قلبي في من العلم مجتازًا
وتسبيحًا لله جل عشيًا وبالإبكار
وترتيل آيات قيام التهجد[2]

قال الحسـن: نعمت الـدار الـدنيا كـانت للمـــؤمن، وذلك أنه عمل قليلاً، وأخذ زاده منها للجنــة، وبئست الــدار كــانت للكــافر والمنـافق، وذلك أنه ضـيع لياليه وكـان زاده إلى النار[3].

أخي الحـــــــبيب... أين نحن من هؤلاء؟!

عن أنس بن عياض قال: رأيت صــفوان بن سليم ولو قيل له غـدًا القيامـة، ما كـان

1 (?) صيد الخاطر: 452.
2 (?) موارد الظمآن: 2/28.
3 (?) تزكية النفوس: 128.

عنده مزيد على ما هو عليه من العبادة[1].

نحن في دنيـــا: أعمارها قصـــيرة، وفرحها مكـدر.. ونعيمها زائـل..!! وقد وصـفها أبو حـازم سلمة بن دينار بقوله: ما مضى من الــدنيا فحلم، وما بقي فأماني.

يا من تمتع بالدنيا ولا تنام عن اللذات عيناه
شغلت نفسك فيما ليس تدركه تقول لله ماذا حين تلقاه[2]

(قـــال الحكيم): أربعة طلبناها فأخطأنا طرقها: طلبنا الغنى في المال؛ فإذا هو في القناعة، وطلبنا الراحة في الكثرة؛ فإذا هي في القلة، وطلبنا الكرامة في الخلـق، فـإذا هي في التقـوى، وطلبنا النعمة في الطعـام واللباس، فإذا هي في الستر والإسلام[3].

أخي.. انظر أين مطلبك من هـــــذه؟ وعلى مــاذا تقع عينــاك.. وأين تــذهب بك المذاهب؟!

ولعل لنا نصـــيبًا من قـــول عطـــاء الخرساني: إني لا أوصيكم بدنياكم، أنتم بها

1 (?) صفة الصفوة: 2/153.
2 (?) مكاشفة القلوب: 293.
3 (?) تنبيه الغافلين: 128.

مستوصـــون، وأنتم عليها حـــراص، وإنما أوصيكم بآخرتكم، فخذوا من دار الفناء لدار البقـاء، واجعلـوا الـدنيا كشـيء فـارقتموه، فوالله لتفارقنهـا، واجعلـوا المـوت كشـيء ذقتمـوه، فوالله لتذوقنـه، واجعلـوا الآخـرة كشيء نزلتموه، فوالله لتنـزلنها[1].

ننافس في الدنيا ... وقد حذرتناها
وما نحسب الأيام ... على أنها فينا
كأني برهط ... إلى حفرة يحثى
وكم ثم من ... ونائحة يعلو على
وباكية تبكي عليَّ ... لفي غفلة من
أيا هادم اللذات ما ... تحاذر نفسي منك
وإني لمن يكره ... ويعجبه روح
رأيت المنايا ... بعدهن نصيبها[2]

ذكر عن شفيق البلخي أنه قال: النــاس يقولـــــون ثلاثة أقـــــوال وقد تألفوها في أعمـــالهم: يقولـــون: نحن عبيد الله وهم يعملون عمل الأحـرار، وهـذا خلاف قـولهم، ويقولون: إن الله كفيل بأرزاقنا، ولا تطمئن

---

1 (?) صفة الصفوة: 4/151.
2 (?) حلية الأولياء: 10/141.

قلوبهم إلا بالدنيا وجمع حطامها، وهذا أيضًا خلاف قولهم، ويقولون: لا بد لنا من الموت وهم يعملون أعمال من لا يموت، وهذا أيضًا خلاف قولهم[1].

وقال إبراهيم التيمي: مثلت نفسي في الجنة، آكل من ثمارها، وأشرب من أنهارها، وأعانق أبكارها، ثم مثلت نفسي في النار، آكل من زقومها، وأشرب من صديدها، وأعالج سلاسلها وأغلالها، فقلت لنفسي: أي شيء تريدين؟ قالت: أريد أن أرد إلى الدنيا فأعمل صالحًا، قال: قلت: فأنت في الأمنية فاعملي:

أف للدنيا فليست ... إنما الراحة في
أبت الساعات إلا ... بليل ونهار[2]

خطب علي -رضي الله عنه - فقال: ألا وإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع، وإن الآخرة قد أقبلت وآذنت باطلاع، ألا وإن المضمار اليوم، والسباق غدًا، ألا وإن السبقة الجنة، والغاية الموت، ألا وإنكم في أيام مهل، ومن ورائه أجل يرثه عجل، فمن

---

1 (?) مكاشفة القلوب: 35.
2 (?) صفة الصفوة: 2/517.

عمل في أيام مهلة قبل حضـور أجلـه، نفعه عملـه، ولم يضـره أملـه، ومن لم يعمل في أيــام مهلة قبل حضــور أجله ضــره أمله وساءه عمله[1].

لا تطمئن إلى **وإن توشحت من**
أين الأحبة **أين الذين هم**
سقاهم الدهر **الثرى رهنا[2]**

وصف حال الإنسان في هذه الــدنيا وما بعـدها يحـيى بن معـاذ فقـال: من الـدنيا لا ندرك آمالنا، وللآخرة لا نقـدم أعمالنـا، وفي القيامة لا ندري ما حالنا[3].

ونحن أخي المسلم نفـرح بالـدنيا، تقبل من كل جانب، وتدخل علينا من كل بــاب... لا نلقي بــالاً لما أتى، ولا نبــالي كيف أتي. لـنرى قـول أبي حـازم سـلمة بن دينـار في هذه الإقبال من الدنيا.

يقــول: نعمة الله فيما زوى عــني من الـدنيا، أعظم من نعمته علي فيما أعطـاني

1 (?) العاقبة: 64.
2 (?) السير: 17/189.
3 (?) حلية الأولياء: 10/56.

منها، إني رأيته أعطاها قومًا فهلكوا[1].

أترانا نخـــاف مثله من إقبـــال الـــدنيا بأبيضها وأصـفرها نحونـا، أم ترانا نفـرح ولا ندري ما أعد لنا؟!

قال ذو النـون المصـري: سـقم الجسم في الأوجـاع، وسـقم القلـوب في الـذنوب، فكما لا يجد الجسم لـــــذة الطعـــــام عند سـقمه، كـذلك لا يجد القلب حلاوة العبـادة مع الذنوب.

أخي.. هب أن الدنيا أقبلت عليــك.. في كل مكان لك نصيب.. وفي كل استثمار لك سهم. كيف سيكون خشوعك في الصـلاة؟! وكيف ســتؤدي الســنن الــرواتب؟! وهل سيكون لسانك رطبًا من ذكر الله؟!

وانظر حــــال من زويت عنهم الــــدنيا، وكانت حياتهم كفافًا، لترى نعم الله في قلة الهم والغم والتفرغ للعبادة والطاعة.

قــال مضــاء بن عيســى: من رجا شــيئًا طلبه، ومن خاف من شيء هرب منه، ومن

---

[1] (?) حلية الأولياء: 3/233.

أحب شيئًا آثره على غيره.

أخي الكـــــــريم .. من موعظة لأبي بن كعب -رضي الله عنه - قــال: لا تغبط الحي إلا بما تغبط به الميت[1].

وبمـــــــــــاذا نغبط الميت؟! إنه العمل الصالح، وحسن الذكر، وطول العبادة.

أخي:

هب الدنيا تساق **أليس مصير ذاك**

وما دنياك إلا مثل **أظلك ثم آذن**

قال رجل لمعاذ بن جبل: علمني. قــال: وهل أنت مطيعي؟ قـــال: إني على طاعتك حـــريص، قـــال: صم وأفطر وصـــل، ونم، واكتسب ولا تـــأثم، ولا تمــــوتن إلا وأنت مسلم، وإياك ودعوة المظلوم[2].

إذا المرء صام عن **الصيام**[3]

قــال بشر بن الحــارث: ليس أحد يحب الـــدنيا إلا لم يحب المـــوت، ومن زهد فيها

---

1 (?) بستان العارفين: 111.

2 (?) صفة الصفوة: 1/496.

3 (?) البركة في فضل السعي والحركة: 111.

أحب لقاء مولاه[1].

وقـــال ســـلمان الفارسي -رضي الله عنه-: ثلاث أعجبتني حتى أضـحكتني، وثلاث أحزنتــني حــتى أبكتــني، أما الثلاث الأول: فمؤمل دنيا، والمـوت يطلبـه. وغافل وليس بمغفول عنه. وضـاحك ملء فيـه، ولا يـدري أساخط عليه رب العالمين أم راض عنه.

أما الثلاث التي أحزنتـني حـتى أبكتـني: ففراق محمد وفراق الأحبة، والوقوف بين يــدي الله تعــالى، ولا أدري أيــؤمر بي إلى الجنة أم إلى النار[2].

دنياك غرارة جموح[3]

قيل لهـرم بن حيـان أوصـي، قـال: قد صدقتني نفسي، ومالي ما أوصي بـه، ولكن أوصيكم بخواتيم سورة النمل[4].

وقال حماد لداود الطائي: يا أبا سليمان لقد رضـيت من الـدنيا باليسـير. قـال: أفلا

---

1 (?) السير: 10/476.
2 (?) العاقبة: 64.
3 (?) صفة الصفوة: 4/352.
4 (?) السير: 4/48.

أدلك على من رضي بأقل من ذلـــــك؟ من رضي بالدنيا كلها عوضًا عن الآخرة[4].

أخي الحـــــــــبيب.. أين نحن من هؤلاء؟!

قال أبو داود السجسـتاني: ما رأيت أحمد بن حنبل ذكر الدنيا قط.

نامت عيون **وعيونه من حرصه**
فاستأمنوا مكر **مكر يسل على**
حتى إذا هتف **نفس الضعيف**
يا ويحهم إن **والموت في كفن**

لقد ضـربت الـدنيا في نفوسـنا بسـهم، ونصـبت في قلوبنا رايـات.. ليلنا ونهارنا في حديث عن الدنيا.. جل تفكيرنا كيف نفعل؟! وأكـــثر حيلنا كم نـــربح!! إن ضـــرب موعد للـــدنيا ذهبنا إليه مبكـــرين، وأقمنا عند بابه فرحين.. ولا نبقي للآخرة في قلوبنا ركنًا ولا زاويــة.. وانظر إذا رفع الأذان، كم تـرى من المبكـــــــرين المســــــرعين.. والتفت إلى الشــوارع والطرقــات تــرى الكــثرة تســير بعجلة للدنيا.. مولية عن الآخـرة مقبلة على

4 (?) صفة الصفوة: 3/141.

الدنيا..

قال سعيد بن عبد العزيز: من أحسن فلـيرج الثواب، ومن أساء فلا يسـتنكر الجـزاء، ومن أخذ عـزًا بغـير حق أورثه ذلاً بحـق، ومن جمع مـالاً بظلم أورثه الله فقرًا بغير ظلم.

نرقع دنيانا . ما نرقع[1]

قال الحسن البصري: إنما الفقيه الزاهد في الـدنيا، الـراغب في الآخـرة، البصـير بدينـه، المـداوم على عبـادة ربـه، الـورع الكاف عن أعراض المسـلمين، العفيف عن أموالهم، الناصح لهم[2].

الدنيا إن قلت أو كـثرت ليست مقياسًـا للسعادة ولا مـدخلاً للنعيم.. إنما هو قيـاس نسـبي.. فهنـاك من إذا كثـير ماله كـثر غمه وهمه، والبعض هـادئ البـال مطمئن الفـؤاد .. لديه ما يكفيه لـدفع حاجـات الـدنيا، فلا يبـذل وجهه لأحـد، ولا هو يشـكو من قلة أو حاجة.

---

1 (?) حلية الأولياء: 8/10.

2 (?) مختصر منهاج القاصدين: 21.

وفي حياتنا نـــــــرى الأمثلة محسوسة والشــواهد قائمــة، وأذكر أن شخصًــا يملك من الثروة ما تكفي زكاة ماله لألوف الأسر المحتاجة.. ويشكو لي بين حين وآخر: كــدر الـــدنيا، وقلة ســـعادتها، وكـــثرة همومها ومشاغلها..

وعاشـــرت مــؤذن مســجد فــترة من الزمن، فما رأيته يشكو ولا يتـذمر، بل رأيته يسعد بأيامه، ويفرح بأبنائه، ويعــدد نعم الله عليــه.. رغم أنه يســكن في بيت المســجد، وحالته المادية يعلم الله بها فلديه من الأبنــاء الكثــير.. ولكن ســبحان من يعطى القناعة والرضـــا، ويســـتعمله في طاعته ويقربه من رحمته..

أقل من الدهر ما **واصبر لريب**
ما لامرئٍ فوق ما **فاللهم فضل**
يا رب ساع في **يفنى ولم يقض**
ما ذاق طعم **ولن ترى قنعاً ما**
والعرف من يأته **وليته حجرا**[1]

قال بعض الحكمــاء: عجبت لمن يحــزن

[1] (?) حلية الأولياء: 7/220.

على نقصـان ماله ولا يحـزن على نقصـان عمـره، وعجبت لمن الـدنيا مـدبرة عنـه، والآخرة مقبلة عليه، كيف يشتغل بالمـدبرة ويعرض عن المقبلة.

أخي المسلم:

إذا خلا القلب من ملاحظة الجنة والنار، ورجاء هذه والهرب من هذه فترت عزائمه، وضـعفت همتـه، ووهي باعثـه، وكلما كـان أشد طلبًا للجنة وعملاً لها، كـان البـاعث له أقوى، والهمة أشد والسـعي أتم، وهـذا أمر معلوم بالذوق[1].

والكثير يسير في هذه الدنيا، يبحث عن الجـــادة، وينشد الطريـــق، ويســـرع نحو السعادة.. يا ترى هل أخطأ الطريق وأضـاع العلامة.. لنرى ذلك في قول مالك بن دينـار حينما قال: خرج أهل الـدنيا من الـدنيا، ولم يـذوقوا أطيب شـيء فيهـا، قيـل: وما هـو؟ قال: معرفة الله[2].

من شاء عيشا في دينه ثم في

---

1 (?) مدارج السالكين: 2/82.

2 (?) السير: 5/236.

فلينظرن إلى من دونه مالا[1]

قـال داود الطـائي: اجعل الـدنيا كيـوم صمته ثم أفطرت على الموت[2].

وحين سـأل رجل الحسن بقولـه: يا أبا سعيد، من الفقيه؟ قـال: الزاهد في الـدنيا، الراغب في الآخرة، البصـير بدينـه، المجتهد في العبادة، هذا الفقيه.

الـدنيا -أخي- بزينتها ومراكبهـا.. بقصـورها ودورها.. إنما هي:

أحلام نوم أو لا يخدع[3]

ويا أخي الحبيب:

عجبًا لأمنك تزال تروع[4]

حـال من سـبقنا مقارنة بحالنا اليـوم .. بون شاسع.. وفرق واضح.

هذا محمد بن الفضل يقول: ما خطـوت أربعين سنة خطوة لغير الله -عز وجل- وما نظـرت أربعين سـنة في شـيء أستحسـنه

---

1 (?) أدب الدنيا والدين: 81.
2 (?) صفة الصفوة: 3/134.
3 (?) الإحياء: 3/228.
4 (?) التبصرة: 1/52.

حيـــاء من الله -عز وجـــل- وما أمليت على ملكي ثلاثين ســـنة شـــيئًا، ولو فعلت ذلك لاستحييت منهما[3].

أخي الحـــــــــبيب: أين نحن من هؤلاء؟!

ها هي الدنيا تسـاق بخطامها وزمامهـا.. بحملها وركابها.. ولكن ماذا فعلوا؟!

عن مالك الداري أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنـه- أخذ أربعمائة دينـار فجعلها في صـرة. فقـال للغلام: اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجـراح، ثم تله سـاعة في الـبيت حـتى تنظر ما يصـنع، فـذهب الغلام، قـال: يقـول لك أمـير المؤمـنين: اجعل هـذه في بعض حاجتك. قـال: وصـله الله ورحمـه، ثم قال: تعالي يا جاريـة، اذهـبي بهـذه السـبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، وبهــذه الخمسة إلى فلان، وبهـــــــذه الخمسة إلى فلان، حـــتى أنفـــدها، فرجع الغلام إلى عمر فأخبره فوجده قد أعد مثلها لمعــاذ بن جبل فقـال: اذهب بها إلى معـاذ وتله في الـبيت

---

3 (?) صفوة الصفوة: 4/165.

ساعة حتى تنظر ما يصنع، فـذهب بها إليـه، قال: يقول لك يا أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجاتــــك، فقـــــال: رحمه الله ووصـــله، تعــالي يا جاريــة، اذهب إلى بيت فلان بكـــذا، واذهـــبي إلى بيت فلان بكـــذا، فـــــاطلعت امرأته فقـــــالت: ونحن والله مســاكين، فأعطنــا، ولم يبق في الخزنة إلا دينـــاران، فـــدحا (رمى) بهما إليهـــا، فرجع الغلام إلى عمر فـأخبره بـذلك، فقـال: إنهم إخوة بعضهم من بعض.

ولو لم يـأت من تـرك الـدنيا إلا الراحة عند المـــوت والاســـتعداد لما بعد المـــوت لكفى.. وقد قيل لبعض الزهـاد: ألا توصـي؟ قـال: بمـاذا أوصـي؟ والله ما لنا شـيء، ولا لنا عند أحد شـــيء ولا لأحد عنـــدنا شـــيء، انظر إلى هذه الراحة، كيف تعجلهـا؟! وإلى السلامة كيف صار إليها؟![1]

تجرد من الدنيا مجرد[2]

قـــال محمد بن ســـوقة: أمـــران لو لم

---

1 (?) أدب الدنيا والدين: 120.

2 (?) مكاشفة القلوب: 328.

نعـذب إلا بهما لكنا مسـتحقين بهما لعـذاب الله، أحدنا يـزاد الشـيء من الـدنيا، فيفـرح فرحًا، ما علم الله أنه فـرح بشـيء زاد قط في دينه، وينقص الشيء من الدنيا، فيحـزن عليه حزنًــا، ما علم أنه حــزن على شــيء نقص قط في دينه.

وأوصى عبد الله بن خـــبيق بقولـــه: لا تغتم إلا من شــيء يضــرك غــدًا، ولا تفــرح بشــيء لا يســرك غــدًا، وأنفع الخــوف ما حجزك عن المعاصـي، وأطـال منك الحـزن على ما فاتك، وألزمك الفكرة بقية عمرك.

أخي المسلم: الدخول في خـوض غمـار الدنيا، والسـير في وهادها ميسـر؛ ولكن الخـروج منها شــديد.. ســكرات المــوت مقبلة تقتل كل فرحة في الــدنيا.. وما بعد المــوت يهــون عنــده الموت.

إن الليالي والأيام الله ما تلد[1]

قــال الحسن -رضي الله عنه -: إن الله تعالى أمر بالطاعة، وأعان عليها، ونهى عن المعصية، وأغنى عنها، فاعمل بقــدرك على

1 (?) صيد الخاطر: 87.

النار ولا تجعل في ركوبها حجة[1].

وقال التيمي -رحمه الله-: شيئان قطعا عني لذاذة الدنيا: ذكر الموت، وذكر الوقوف بين يدي الله[2].

وما شاب رأس ... عليَّ ولكن

كان سفيان الثوري يقول: أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة: رجل كان له عبد فجاء يوم القيامة أفضل عملاً منه، ورجل له مال فلم يتصدق به فمات، فورثه غيره فتصدق منه، ورجل عالم لم ينتفع بعلمه فعلم غيره فانتفع به.

أخي المسلم:

وهذه الدنيا تلقي سهامها علينا.. ونحن في ضعف وتقصير.. نفرح برحمة أرحم الراحمين.. رب رحيم.. غفور كريم.

قيل: إن الشبلي رئي في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: حاسبني وناقشني حتى يئست، فلما رآني يئست،

---

1 (?) الزهر الفائح: 95

2 (?) العاقبة: 39.

تغمدني برحمته[1].

وقال يحيى بن معـاذ: إن غفـرت فخـير راحم، وإن عذبت فغير ظالم[2].

أخي الحبيب:

جعل الله طريقنا في هـذه الـدنيا نهايته في جنات عدن، وجعلنا ممن تزود في هـذه الـــدار الفانية لــــدار فيها النعيم المقيم. والظل الظليل.

جمعـــني الله وإيــاك وآباءنا وأمهاتنا وأقاربنا في مســــتقر رحمته وجعلنا من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وصــــلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

خاتمة

قــال تعــالى: ﴿**وَاضْــرِبْ لَهُمْ مَثَــلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَــطَ بِــهِ نَبَــاتُ الْأَرْضِ فَأَصْــبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَـانَ اللَّهُ عَلَى**

---

1 (?) الزهر الفائح: 41.

2 (?) صفة الصفوة: 4/96.

كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا [سـورة الكهف الآيـة: 45].

المصادر

(1) إحيـــاء علـــوم الـــدين لأبي حامد الغزالي، دار الكتب العلمية، ط1/ 1406هـ.
(2) أدب الـدنيا والـدين، للمـاوردي، دار الكتب العلمية.
(3) إرشاد العباد للاستعداد ليوم المعاد، عبد العزيز السلمان، ط1، 1406هـ.
(4) البداية والنهاية للحافظ ابن كثـــير، مطبعة المتوسط.
(5) البركة في فضل السعي والحركـة، لأبي عبد الله محمد الجيش، دار المعرفـــة، 1406هـ.
(6) بستان الواعظين للإمام النووي.
(7) تاريخ بغداد للخطيب البغـدادي، دار الكتب العلمية.
(8) تاريخ الخلفـاء للحافظ جلال الـدين السيوطي، مكتبة الرياض الحديثة.
(9) تـــاريخ عمر لابن الجـــوزي، تحقيق أحمد حوشان، مكتبة المؤيد.
(10) التبصرة لابن الجـوزي، دار الكتب

العلمية، ط1، 1406هـ.
(11) تذكرة الحفاظ للذهبي، دار إحيـاء التراث.
(12) التذكرة في أحوال الموتى وأمـور الآخرة للإمام القرطـبي، دار الريـاض، ط2، 1407هـ.
(13) تزكية النفوس وتربيتها كما يقرره علمـاء السـلف، ماجد بن أبي الليل وآخـر، دار القلم.
(14) تسلية أهل المصـائب، الإمـام أبي عبد الله محمد بن محمد البنجي، دار الكتب العلمية، ط1، 1406هـ.
(15) تنبيه الغـــــــافلين، الفقيه نصر السمرقندي، تحقيق عبد العزيز الوكيل، دار الشروق، 1410هـ.
(16) جـامع العلـوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ط5، 1400هـ.
(17) جنة الرضا في السـليم لما قـدر الله وقضـــى، لأبي يحـــيى محمد عاصم الغرنـــاطي، تحقيق د. صـــلاح جـــرار، دار

البشير، 1410هـ.
(18) حلية الأوليـاء وطبقـات الأصـفياء للحافظ أبي نعيم، دار الكتاب العربي.
(19) ديوان الإمام علي، جمعه وشرحه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، 1405هـ.
(20) ديـــوان الشـــافعي، جمع وتعليق محمد عفيف الزغـبي، دار الجيـل، بـيروت، ط2، 1392هـ.
(21) الزهد لابن المبارك.
(22) كتــــاب الزهد للإمــــام أحمد بن حنبــــل، دارسة وتحقيق محمد الســـعيد بســـيوني، دار الكتـــاب العـــربي، ط1، 1406هـ.
(23) كتـاب الزهد الكبـير للإمـام أحمد بن حسـين الـبيهقي، تحقيق د. تقي الـدين الندوي، دار القلم، ط2، 1403هـ.
(24) الزهد للحسن البصري، تحقيق د. محمد عبد الرحيم محمد، دار الحديث.
(25) الزهر الفـائح في ذكر من تـنزه عن الـــذنوب والقبـــائح، محمد بن محمد يوسف الجزري، تحقيق محمد بسيوني، دار

الكتاب العربي، ط1، 1406هـ.
(26) سير أعلام النبلاء للـذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وحسـين الأسـد، مؤسسة الرسالة، 1401هـ.
(27) شـذرات الـذهب في أخبـار من ذهب لابن العماد الحنبلي، دار إحياء الـتراث العربي.
(28) شرح الصدور بشرح حال المـوتى والقبور للحافظ جلال الدين السـيوطي، دار الكتب العلمية، ط1، 1404هـ.
(29) كتـاب الشـكر لابن أبي الـدنيا، ط 3، 1405هـ.
(30) صـفة الصـفوة لابن الجـوزي، تحقيق محمود فـاحوزي ومحمد رواس، دار المعرفة، 1405هـ.
(31) كتـاب الصـمت وآداب اللسـان للإمـام الحافظ ابن أبي الـدنيا، تصـنيف أبي إسـحاق الجويـني دار الكتـاب العـربي، 1410هـ.
(32) صـيد الخـاطر لابن الجـوزي، دار الكتاب العربي، ط2، 1407هـ.

(33) طبقـــــات الحنابلة للقاضي أبي يعلى، مطبعة الســــــــنة المحمدية ودار المعرفة بيروت.
(34) طبقـــات الشـــافعية للســـبكي، تحقيق محمد الطناحي، وعبد الفتاح الحلــو، دار إحياء الكتب العربية.
(35) العاقبة في ذكر المــوتى والآخــرة للإمـــــام أبي محمد عبد الحق الأشـــبيلي، تحقيق خضر محمد خضــــــــر، مكتبة دار الأقصى، ط1، 1406هـ.
(36) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن قيم الجوزيــــة، ط2، 1406هـ، دار الكتاب العربي.
(37) عقــود اللؤلؤ في وظــائف شــهر رمضان، إبراهيم بن عبيد.
(38) الفوائد لابن قيم الجوزيـــــة، دار النفائس.
(39) المجمــوع المنتخب من المواعظ والأدب، زامل الزامل.
(40) مختصر منهـاج القاصـدين للإمـام أحمد بن محمد المقدســي، تحقيق زهـــير

الشـــــاويش، المكتب الإســــلامي، ط7، 1406هـ.

(41) مـــــدارج الســــالكين، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، ط2، 1408هـ.

(42) مكاشــــفة القلـــوب لأبي حامد الغزالي، دار إحياء العلوم، ط1، 1403هـ.

(43) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي، مكتبة الخاني، 1399هـ.

(44) موارد الظمـآن لـدروس الزمـان، عبد العزيز السلمان، ط13، 1403هـ.

(45) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمـان لابن خلكان، دار صادر بيروت، 1397هـ.

الفهرس